إشراقات ربانية

في جهد خير البرية

من كلام فضيلة الشيخ إبراهيم عزت(رحمه الله)
من مشايخ التبليغ والدعوة

بقلم

محمد على محمد إمام

ت منزل : ٠٥٠/٦٨٢٤٥٣٦
ت محمول : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

(٢٥) سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة

بطاقة فهرسة
دار الكتب والوثائق المصرية
إشراقات ربانية في جهد خير البرية
من كلام الشيخ إبراهيم عزت
(رحمه الله)
بقلم/محمد علي محمد إمام
الطبعة الأولي ٢٠١٤م
عدد الصفحات (٢٣٢ صفحة)

رقم الإيداع/

تاريخ الإيداع/ ٢٠١٤/١١/٢
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده .. أما بعد: إخواني وأحبابي في الله ﷻ ، لقد منَّ الله على مصر برجل عظيم ألا وهو الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله في وقت كانت الأمة تحتاج إلى مثله، رجل يحمل همَّ وفكر النبي صلى الله عليه وسلم، ويمتلئ قلبه هما وحزنا على الأمة، قد تحققت فيه كثير من الصفات النبوية، فكان إذا تكلم علا صوته واحمر وجهه وكأنه منذر جيش، وكان دائم الفكر متواصل الحزن، لا يسترح إلا إذا تكلم عن الله.

ولقد كان من الأعلام الذين لهم الفضل في جيل الصحوة الإسلامية في عقدي السبعينيات والثمانينيات، حيثُ كان له أثراً كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية، ودورا كبيرا في الحركة الدعوية التي التحق بصفوفها وعمل بها، ألا وهي عمل التبليغ والدعوة ، واشتهر بخطبه المؤثرة التي استفاد منها آلاف المسلمين، وقد لا يعلم الكثيرون عن الشيخ إبراهيم أنه

كان شاعرا، ليس كباقي الدعاة الذين نظموا الشعر أو ينظمون الشعر بل كان شاعرا حقا بمعنى الكلمة، لا يقل شعره في أسلوبه ولغته وخياله وأدواته الفنية عن باقي الفحول المتميزين من جيله.. وهذه جولة في حياة الشيخ إبراهيم عزت بين الدعوة والأدب.

المولد والنشأة:

ولد الشيخ (رحمه الله) في مدينة سوهاج بصعيد مصر عام ١٩٣٩ أطل على الحياة، وكان ثاني ولد لأبيه محمد سليمان، بعد أخيه أحمد الذي مات في المهد. كان الوالد محمد سليمان مهندسا عمل في التعليم الصناعي، وكانت الأم على علم وخلق ودين وثقافة.

ترعرع الطفل المبارك في حضن أبويه اللذين أحاطاه برعايتهما.. واضطر الأب أن ينتقل بأسرته إلى طنطا نظرا لظروف العمل، ثم ألحق ابنه بإحدى مدارسها الابتدائية وانتظم بالدراسة، إلى أن اضطر الأب ثانية أن ينتقل إلى القاهرة فسكن بحي الزيتون، بينما التحق إبراهيم بالمدرسة الثانوية بعين شمس، ثم التحق بكلية التجارة بجامعة عين شمس وتخرج فيها عام ١٩٥٥ ولم تكن سنه قد تجاوزت السابعة عشرة.

بعد ذلك تم تجنيده ليخدم في الجيش، وفي تلك الأثناء تقدم لوظيفة مذيع في الإذاعة المصرية ونجح في اجتياز الاختبارات التي أجريت له وتم تعيينه، وقدم العديد من البرامج الدينية والثقافية مثل: "بيوت الله"، "دنيا الأدب".

وبعد ذلك عين في الجهاز المركزي للمحاسبات، وبعد حين من الزمان حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة الأزهر رغم انشغاله بالدعوة إلى الله.

حياته الفكرية والدعوية: قد أثرت نشأة الشيخ إبراهيم عزت في بيت صالح يحيطه الله برعايته ويضفي عليه من محبته؛ فاتخذ إبراهيم حب الله طريقا والدعوة إليه منهجا منذ صغره، حيث انضم إلى الأنشطة الدعوية، وبعد ذلك كان قراره بالانضمام إلى هذه الجماعة المباركة، جماعة التبليغ والدعوة عام ١٩٦٣، وهي جماعة لها نشاطها الدؤوب في الدعوة إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، واتباع سيرة الأنبياء عليهم السلام، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، في الدعوة إلى الله.

حيثُ يقومون بالدعوة إلى الله وذلك بالخروج في سبيل الله ، ولا يتم ذلك إلا بتفريغ الأوقات؛ ويأخذ كل فرد نفقاته، ثم يخرجون في جماعات دعوية، ترتاد المساجد وتدعو الناس فيها إلى طاعة الله تعالى، ويتميزون بالجرأة وعدم الخجل في طوافهم بالشوارع وعلى البيوت والمقاهي والدكاكين والمحلات، داعين الناس إلى الله والإيمان به وحسن اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، ولإقامة الصلاة بالخشوع والخضوع، ولتعلم العلم الصحيح علم الكتاب والسنة، وأداء الحقوق، وإكرام الناس وحسن الخلق، والقيام بكل الأعمال بالإخلاص وتصحيح العبودية ، والقيام بالدعوة إلى الله ونشر العبودية الصحيحة في الأرض تحقيقا ولقوله تعالى:{**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(١)، ولقول الله تعالى :{ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(١) (٢).

، ولقوله تعالى: { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(٣).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

(٢) يقول ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب الحسبة: تحقيق وصف الخيرية للأمة، كما قال الله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ .. } (١١٠) سورة آل عمران، وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. وما تمت هذه الخيرية إلا بعد تحقيق الصفات المذكورة في الآية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، فمن اتصف بهذه الصفات من هذه الأمة دخل في هذا المدح، فعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا وَرَأَى مِنَ النَّاسِ رِعَةً سَيِّئَةً، فَقَرَأَ هَذِهِ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا. رواه ابن جرير، وقال الإمام ابن كثير: "ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: { كَانُواْ لا يَتَنَاهَونَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ } (المائدة: ٧٩)".

(٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

وقد أُعطي الشيخ من قوة البصيرة بقدر تضحيته للدين، فقد حكى لي الشيخ حامد اسكندر من قرية دنديط التابعة لميت غمر، أنه لما كان في الجامعة تم عمل أسبوع ثقافي للطلاب، وكان العلماء أساتذة الجامعات يلقون عليهم المحاضرات الدينية في جميع شئون الحياة، فعلم بذلك الشيخ إبراهيم رحمه الله فحمل الشيخ فراشه وذهب إلى هناك وحضر معهم هذا الأسبوع من أوله إلى آخره، وبعد انتهاء المحاضر من محاضرته يجلس مع الطلاب يتكلم معهم عن الله وعن أهمية الدين وجهد الأنبياء ونيابة النبي صلى الله عليه وسلم، ويحملهم مسئولية الدين والبلاغ عن الله وعن رسوله، ويهيئهم للخروج في سبيل الله عز وجل، وقبل الطعام يعلمهم آداب الطعام، وقبل النوم يعلمهم آداب النوم ويحرضهم على قيام الليل، ويلتفون حوله، وكأن الله أرسله هدية لهم.

وكان العلماء يعرفون قدر الشيخ رحمه الله، فوضعوه في خطة المحاضرين، فجاء وقت المحاضرة فقام ليتكلم، وكان معيَّ زملائي ويجلس بجواري، وكنا نجلس على الكراسي وكنا نجلس تقريبا بيننا وبين الشيخ حوالى أربعين صفا، فهمس لي زميلي من هذا صاحب اللحية القصيرة الذي يتكلم معنا _ وكأنه يحقر شأنه وهو لا يعرفه _ ونحن

على مسافة طويلة من الشيخ ما يسمعنا، حتى الذي يجلس بجوارنا أو من أمامنا لا يسمع كلامه معيَّ، فإذا بالشيخ رحمه الله يقول: الأخ الذى هناك ويشير عليه، أتعيب على الصنعة أم على الصانع؟ ، ثم عاد إلى حديثه، فقال: زميلي بعد أن سمعه وتأثر به وانبهر من كلامه: والله ! هذا رجل غير عادي، هذا من أولياء الله عز وجل.

وللشيخ إبراهيم عزت الكثير من الخطب والمحاضرات التي ألقاها على آلاف المسلمين بمسجد أنس بن مالك بالجيزة في مصر، حيث تولى فيه الخطابة منذ عام ١٩٧٥، وظل داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة آسرا مستمعيه بأسلوبه المميز الجذاب في خطابته، إلى أن لقي الله عز وجل في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٤هـ م- ١٩٨٣م حيث عزم على السفر إلى مكة المكرمة للاعتمار والاعتكاف في المسجد الحرام بصحبة بعض المشايخ، وكان الشيخ يعزم على الخروج لأربعين يوما في الأردن بعض قضاء العمرة ، وانقضاء عيد الفطر.

ولما علم قبطان السفينة أن الشيخ إبراهيم عزت على متن السفينة، سر سرورا شديدا، وأمر بإحضاره ومن معه لاستضافتهم، لأنه كان يعرف الشيخ حيثُ كان يحضر له كثيرا من الخطب في مسجد أنس بن مالك بحي بالمهندسين.

وكان الشيخ طوال اليوم يتكلم مع رفقاءه في رحلته ومع الناس عن الله وعن أهمية الدين وعن مسئولية الدين، وكان مهموما محزونا، ويبكي طويلا، ويقول لهم: إن أربعين يوما قليلة لا بد كل عام نخرج أربعة أشهر، لأن الفتن أصبحت كثيرة، وتحتاج إلى تضحيات أكبر.

وقام بالدعاء طويلا، ثم شعر الشيخ بأثار المرض، فأدخلوه الغرفة، وتركوه قليلا ليستريح، ثم دخلوا عليه ليطمئنوا عليه فوجدوه يردد الشهادة، ثم فاضت روحه الزكية الطاهرة إلى بارئها، وهو صائما، معتمرا ، خارجا في سبيل الله لدعوة الناس إلى الله.

فعلم قبطان السفينة بموت الشيخ (رحمه الله) ففتح المذياع على إذاعة القرآن الكريم، فكانت أول آية ينطق بها المذياع:{ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}(١).

وكان موته في البحر، في السفينة ، فقام قبطان السفينة بمخاطبة سفير مصر بجدة، وقام السفير بالاتصال بأمير جدة فرفض أن يأذن بدخول الجثمان إلى أرض المملكة العربية السعودية، حيثُ أنه مات في البحر فيرجع إلى مصر، فقام السفير بالاتصال بأمير مكة فوافق بسرعة، وقال: هذا الرجل من العلماء الأجلاء وقد حضرت له في مصر خطبة جمعة ، ثم استقبل الجثمان بميناء جدة بحفاوة، كاستقبال جثمان الملوك والأمراء.

فأدخلوه مستشفى جدة ليراه الطبيب– وكان من باكستان _ فقبله وبكى، وقال: هذا جسد الرجل الصالح الشيخ إبراهيم، وأعطاهم تسريح الدفن ، فقاموا بتغسيله، وما أن انتهوا من تغسيله، إلا وقد وجدوا بأن أحد الأحباب المصريين كان في مكة لأداء العمرة ، وقد كان الشيخ موصي

(١) سورة يونس _ الآية ٦٢.

قبل ذلك له بتغسيله، فإذا به قد علم فأحضر معه ماء زمزم ووصل قبل تكفينه فقام بتغسيله مرة ثانية، لتنفيذ وصية الشيخ، ثم حمل جثمانه إلى الحرم، وقام إمام الحرم بإعلان الناس بالصلاة عليه، وذكر أنه من العلماء الكبار.

ثم حمل جثمانه إلى مثواه في مقبرة المُعلى بمكة المكرمة، بالقرب من قبر أمنا خديجة رضي الله عنها.. وقام الشيخ مصطفي نوح مسؤول الدعوة ببلجيكا بالدعاء له عند قبره.

وقد تحققت دعوة الشيخ (رحمه الله) حيثُ كان دائما في ختام خطبه وبياناته، يدعو، ويقول: اللهم نسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد حبيبك، فتقبل الله دعوته.

وقد خلف له نجليه الكريمين أحمد ، محمد (حفظهما الله) اللذين حمل الأمانة من بعده، وقد صدق الملك جبرائيل وهو يطمئن هاجر عليها السلام ،كما جاء في البخاري من حديث ابن عباس:.....فَقَالَ لَهَا

الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ ..... (١).

وهذا ما تيسر لي من سيرته، وقد سمعت أحوال موته من الشيخ رجب بدر (حفظه الله) وذلك منذُ ست سنوات ولعلي نسيت من أحوال رحلة الوفاة كثيراً، فعندما يحكي الشيخ رجب رفيقه في الرحلة عن أحوال موت الشيخ وعن سخائه وكرمه، فيبكي الحاضرين جميعا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياه من أهل الفردوس الأعلى ، وأن يحشرنا وإياه مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يوردنا وإياه حوض نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يسقينا وإياه من يد حبيبنا صلى الله عليه وسلم شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدا.

أخوكم في الله

أبو علي

محمد بن علي بن محمد بن إمام

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه _ كتاب أحاديث الأنبياء_ حديث رقم(٣٣٦٤).

البيان الأول
من دلائل قدرة الله تعالى

يقـول الله عـز وجـل { **إِنَّ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** }(١).

فهذا دين أصحاب العقول والأفهام وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ عُمِلَ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ عَمَلِ الْمَرْءِ عَقْلُهُ فَبِقَدْرِ عَقْلِهِ تَكُونُ عِبَادَتُهُ لِرَبِّهِ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْفُجَّارِ { **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** }(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْقِلُوا عَنْ رَبِّكُمْ ، وَتَوَاضَعُوا بِالْعَقْلِ تَعْرِفُونَ بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُحَذِّرُكُمْ عِنْدُ رَبِّكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ الْخَطَرِ دَنِيَّ

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٩٠.
(٢) سورة الملك _ الآية ١٠.

الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا ، وَالْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ عَصَاهُ ، وَلا تَغْتَرُّوا بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَدًا مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١).

فكل انسان مدعوا في هذا الدين العظيم إلى استخدام عقله وجوارحه . ومدعوا للنظر في صنعة الله .. وأن يستخدم عقله .. ويسأل نفسه أمام كل ظاهرة من ظواهر الوجود .. من صاحب هذه الصنعة ؟ وأنت تنظر الى ورق الشجر .. من صاحب هذه الصنعة ؟ وأنت تنظر الى الرياح من صاحب هذه الرياح ؟ ومن يصرفها ؟ وأنت تنظر الى السماء .. من الذى رفعها ؟ وأنت تنظر الى الأرض من الذى مهدها ؟ وأنت تنظر الى وجهك فى المرآة .. من الذى شق سمعك وبصرك ؟ أله سبحانه وتعالى أعطاك ملكات عظيمة .. أعطاك السمع والبصر والعقل أدوات لتحصيل المعرفة .. وأعلى مستويات المعرفة { **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» كتَابُ الأَدَبِ» بَابُ : مَا جَاءَ فِي الْعَقْلِ(٨٣١)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر(٢٨٥٣)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة(٤٦٩١) ،**ذيل تاريخ بغداد لابن النجار** (٨٦٥).

وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}(١).

وقال تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}(٢).

فكل إنسان سيسأل .. لأن الله أعطاه إمكانيات الفهم .. والتحصيل والمعرفة .. لك عين انظر بها في آثار قدرة الله وعظمته .. لك أذن أسمع بها القرآن .. لك عقل فكر به فى هذا الكون .. من الذى خلق ؟ من الذى بدأ ؟ من الذى ينهى ؟ من الذى أحيا ؟ من الذى يميت ؟ عليك أن تفكر .

فإذا ما وجدت لهذا الكون من باب التفكير المجرد .. لا بد للصنعة من صانع فهذا الكون له صانع .. هو الله جل وعلا { أَلَيْسَ اللَّهُ

(١) سورة محمد _ الآية ١٩.
(٢) سورة الإسراء _ الآية ٣٦.

بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}(١).

أما يكفينا ربنا ؟ أما تكفينا ولاية الله لنا ؟ فليس لنا رب غير الله .. والنعم التي في أيدينا ملك لله .. النعمة من الله .. والعطاء من الله .. والمال الذى في يديك من الله .. والصحة التي تختال بها من الله .. والسيارة التي تجرى بها من الله .. والبيت الذى تسكنه من الله .. والأنفاس التي تترددها في صدرك من الله .

ردوا النعمة إلى الله تبارك وتعالى وحده .. إذا تحدثتم عن النعمة فاذكروا المنعم الأوحد جل وعلا .. الأنفاس التي تتردد في صدورنا هي آية من آيات الله تبارك وتعالى

ولنا في هذه الدنيا أجل .. ولنا في هذه الدنيا رزق .. ولن تستطيع قدرة من القدر أن تحول بيننا وبين أجل قدره الله لنا . ولأبين رزق قدمه الله تبارك وتعالى لنا على موائد فضله .

---

(١) سورة الزمر _ الآية ٣٦.

أفيقوا واستحضروا عز التوحيد وعز الإيمان .. واعلموا أن هذه الدنيا كلها . بكل من فيها .. بكل خيرها وشرها .. لا تستطيع أن تقدم لك نفعا و لا ضرا إلا بأمر الله وحده .

هدد الحجاج سعيدَ بنَ جبير التابعيَّ الجليلَ بالقتل، فقال له سعيد بن جبير: لو علمْتُ أنّ الموتَ والحياة في يدك ما عبدتُ غيرك. هذا دين حق يقتلع الشرك من أعماق القلوب .. دين العزيز الذى لا يغلب.

ما خلق أحد معه ذرة في هذا الكون .. جئنا الى هذا الكون فوجدنا فيه السماء والبحار والأنهار والأشجار .. وسنرحل عن هذا الكون وما تغير فيه شيء .. فكم من غيب نجهله ؟ وكم من أمور لا ندريها ولا نعلمها ؟ هل يعرف ابن آدم كيف يصير الله الرياح ؟ هل يعرف ابن آدم كيف ينشئ الله السحاب ؟ هل يعرف ابن آدم كيف يحرك الله الأمواج ؟ أنت لا تعرف شيئا .. وكم من أمور حولك لاتدريها ؟ أنت أمام خلق يشهد بعظمة الخالق .. أنت أمام قدرة بادية (ظاهرة) في كل أثر لها .

قال جل وعلا { **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** }(١)..ألا ترون البداية والنهاية حاضرة في كل ساعة ؟ أرحام توضع فيها قدرة الله جل

---

(١) سورة الزمر _ الآية ٣٦.

وعلا .. فتصير النطفة بشرا سويا .. هل يستطيع أحد غير الله أن يفعل ذلك ؟ كثيرا ما يذكرك ربك ببدايتك حتى لا تتكبر .. ماهي البداية ؟ نطفة في رحم مظلم .. وتتعلق بجدار الرحم .. ثم تتحول الى خلية أكالة تأكل جدار الرحم .. ثم تتحول الى كتلة من الدماء .. تأخذ منها غذاءها طازجا يوما بيوم .. ثم تتكاثر هذه الخلية لتصبح مجموعة من الخلايا .. ثم تتوجه كل مجموعة من الخلايا لأداء مهمة عظيمة .. من الذى علم خلايا الأعصاب أن تصنع الأعصاب ؟ ومن علم خلايا العظام أن تصنع العظام ؟ ومن علم خلايا العضلات أن تصنع العضلات .. كل مجموعة من الخلايا تعمل في نظام بديع .. من أعطاها الأوامر ؟ ومن الذى يسر لها السبل ؟ ومن الذى أمر خلايا العين أن تصنع العين في موضعها ؟ ما صنعت العين لافي الذراع ولافي القدم ولافي الصدر .

ثم إن هذه الخلايا أودعها الله أسرارا عجيبة .. أودعها عناصر الوراثة .. عين الولد مثل عين أبيه أو أمه أو جده .. أسرار عظيمة تتحرك بيد القدرة .. أنت صنعته .. عينك من صنعته .. أذنك من صنعته .. خلايا عقلك من تدبيره ومن صنعته .. نبضات قلبك من كبرياءه ومن قهره .. شراييك وخلاياك العصبية وخلاياك السمعية ،

صنعة من هذا كله ؟ صنعة من ؟ قدرة من ؟ إبداع من ؟ أنت ما خلقت أصبعا .. ولا خلقت عينا .. لا أنت ولا أبوك ولا أمك ولا أي أحد .. الكل عجزة .. وأنت في هذه الدنيا عجزك ظاهر .. أنت عاجز اذا جعت .. عاجز اذا ظمئت .. عاجز اذا مرضت .. عاجز اذا غضبت .. عاجز اذا اضطهدت .. عاجز اذا رغبت .. عاجز اذا اشتهيت .. عاجز اذا مت .. أنت لا تستطيع أن تدفع عن نفسك الهمَّ .. ولا أن تدفع عن نفسك الحزن .

قال جل وعلا { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**}(١).

ثم أعجز العجز يبدوا منك حين يأتيك ملك الموت فلا يكون منك حول ولا قوة .

أنت عاجز .. أنت ضعيف .. أنت فقير .. أنت مسكين .. يصيبك المرض .. يصيبك الهم .. يصيبك العجز .. تصيبك الفاقة .. من

---

(١) سورة فاطر _ الآية ١٥.

سينجيك من كل كرب وشدة ؟ { قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ }(١).

القادر صورك في بطن أمك .. كيف تتم هذه الصنعة المبدعة في مكان مظلم ؟ ومن الذى أضاء هذا المكان ليرى صنعته ؟ { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }(٢).

الذي لا يغيب عن علمه شيء .. ولا يغيب عن بصره شيء .. ولا يخفى عن علمه شيء .. ولا يعجزه في قدرته شيء .

علم ما كان وما سيكون .. وما لم يكن لو كان سوف يكون .

من أنت ؟ أنت نطفة تجلى عليها الملك فمشت على الأرض .. نطفة .. من أنت ؟ .

الأرحام في كل يوم يخلق فيها الله جل وعلا ما لا تعلمون ..كل يوم يخلق أسماعا وأبصارا وقلوبا وعقولا ولا يتعجب في قدرته أحد ؟ من الذى شق سمعك وبصرك ؟ من الذى أعطاك العقل ؟ ومن الذى أعطاك الكلام ؟ .

---

(١) سورة الأنعام _ الآية ٦٤.

(٢) سورة الملك _ الآية ١٤.

ثم فكر! لو أن الله سبحانه وتعالى حرمك بعض هذه النعم فماذا أنت فاعل ؟ والذى أعطى قادر على أن يسلب .. ومن الذى يستطيع أن يعطيك نعمة حرمك الله منها ؟ { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ }(١).

أنت تبصر .. ووضعت برامج حياتك على أنك ستفعل وتفعل .. لو أنك أصبحت ذات يوم ووجدت نفسك لا ترى .. ماذا يكون حالك ؟ أو أنك لم تسمع ؟ الأبصار خلقها الله جل وعلا لتفتش في هذا الكون عن دلائل عظمته وقدرته .. ولتنظر في كتابه .. وتقرأ آياته .. عينك ليست ملكا لك .. ولسانك ليس ملكا لك .. هذه النعم أعطاها الله لك .. وأنت مستخلف عليها .. وستسأل عنها أمام الله . فماذا أنت فاعل ؟

هذا الكون من حولك يشهد بوحدانية الله وقدرته .. فاذا نظرت الى نفسك فأنفاسك تشهد أن لا إله الا الله .. والنور في عينيك يشهد أنه نور السموات والأرض .. وسمعك يشهد أنه جل وعلا يسمع كل شيء .

---

(١) سورة الأنعام _ الآية ٤٦.

ويرى كل شيء .. وعقلك يشهد أنه جل وعلا يدبر كل شيء .. أيعطيك السمع ولا يسمعك ؟ أيعطيك البصر ولا يبصرك ؟ أيعطيك العقل ولا يدبر لك ؟ { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ }(١).

إن الذى خلق ظاهر في خلقه .. وظاهر في عظمته .. وظاهر في كبريائه.. وظاهر في جلاله .. فاختاروا طريق العبودية لله جل وعلا .. فماعلينا الا أن تخر الجباه لصاحب الكبرياء والعظمة {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا }(٢).ألا لله العظمة ؟ ألا لله الكبرياء ؟ آمنوا بالله.. فالدورة الدموية في جسدك لا سلطان لك عليها ..

(١) سورة الأنعام _ الآية ٩١.
(٢) سورة طه_ الآية ١١١.

وعروقك تنضب بأمر الله وحده .. واللقمة التي تأكلها تهضم بكبرياء الله وعظمته وجلاله.

ولو أن الله عطل لك عضوا من أعضائك لتحيرت به .

ولو أن الله أغلق عينا لتحيرت بها .. ولو أن الله أخذ منك سمعك لتحيرت بالداء الذى أرسله اليك ربك جل وعلا .

آيات عظيمة في كون الله جل وعلا .. خلق وكم خلق ؟ أبدع وكم أبدع ؟ خلق وسوى الخلق وتجلت عظمته في خلق بنى آدم .. ذلك المخلوق البديع الذى أبدع الله صنعته .. فسواه وجعله سويا .. له سمع .. وله بصر .. وله عقل .. ويدين وشفتين .. ثم أعطاه الدلائل على قدرته وعظمته .. سل نفسك .. من صاحب هذا الخلق ؟ لا إله غيره في خلقه .. ولا إله غيره في رزقه .. ولا إله غيره في مقاليد السموات والأرض .. هو الله لا إله الا هو جل وعلا .. لا إله غيره ولا رب سواه .. سوى كل خلق ودله على وظيفته .. دل الذبابة على وظيفتها .. دل البعوضة على وظيفتها .. من هدى الأسماك في بحارها ؟ من هدى الطيور في السماء ؟ من هدى الوحوش في الغابات ؟ من هدى الحيات في الجحور ؟ لن تجد خلال عملية التتبع لخلق الله وقدرته وعظمته إلا

كمالا فوق كل كمال .. وجلالا فوق كل جلال .. وقدرة فوق قدرة .. وعظمة فوق عظمة .

أين قدرة البشر أمام قدرة الله ؟ أنت لا تملك شيئا .. الدماء تجرى في عروقك بقدر الله .. عقلك يدرك بقدر الله .. بصرك يبصر بقدرة الله وارادته .. سمعك يسمع بقدر الله .. قلبك ينبض بكبرياء الله وبعظمته .. عقلك يحسب ويفهم بعطاء من الله جل وعلا .. جهازك الهضمي يعمل بقدرة الله وبخبرته وبعلمه .. الخلايا العصبية في رأسك ومخك لا تعمل على حسب ارادتك وهواك .. وإنما تعمل على حسب ارادة العليم الأعلى جل وعلا في كبرياءه وعظمته .

ثم بعد ذلك تعصيه ؟ كيف يكون ذلك ؟ من الذى صوركم في بطون أمهاتكم ؟ كيف صورك الله بكبرياءه وعظمته في بطن أمك بلا حول ولا قوة ؟ فأعطاك الحول والقوة .. أعطاك السمع والبصر .. والفؤاد والقدرة والعقل .. ثم بعد ذلك تتكبر على أوامر الله جل وعلا ؟ ليس هذا من الحياء .. وليس هذا من الأدب .. أنت لا اخترت عقلك .. ولا اخترت شكلك .. ولا اخترت تركيبك .. أعطاك جسدا سويا .

هو قادر أن يخلقك في أي صورة .. هو قادر على أن تخلق في الأرحام كيف يشاء .

أعطاك العقل .. ثم يناديك (يا أيها الأنسان) ينادى فيك صفة الإنسانية . ألا تذكر له هذه النعمة ؟ .

أعطاك جسدا سويا . وأعطاك قلبا مدركا .. تشعر بالمشاعر رقيقها وجافيها .

من الذى أعطاك هذه القدرة على الإحساس بالمشاعر ؟ ثم أعطاك العقل . والمدركات التي يدركها عقلك .

هل تستطيع أن تدرك أين عقلك ؟ وكيف يدرك ؟ أنت لا تدرى كيف يدرك . أن هذه المدركات التي تجمعها .. والمعلومات التي تحصيها .. أين تخزن ؟ أين مركز تخزين المعلومات في رأسك ؟ لو أردنا أن نسجل الأحداث ليلزمنا بلايين البلايين من الأمتار من شرائط التسجيل .. فكيف تسجل ؟ وأين تسجل ؟ وأين تحفظ ؟ أين حجرة المعلومات ؟ ولماذا لا يختلط بعضها على بعض ؟.

بداخلك أجهزة حفظ للشخصيات .. للصور .. للأصوات .. خانة للعربى .. خامة للتاريخ . خانة للمعلومات الحسابية . فهذه الإمكانيات

استهلكت كلها في معصية الله .. وفى الغفلات .. وأصبحنا عبيد لأهواء لا ترضى الله .. عبيد لشهوات لا ترضى الله .. عبيد لمشاعر لا ترضى الله .. عبيد لغرائز لا ترضى الله.

إن الله ركب في جوف كل واحد منكم جهاز للكلام .. من الذى صنعه ؟ من الذى علمك كيف تربط الحرف بما فى عقلك .

وكيف تحرك اللسان على حسب الذى في قلبك ؟ من الذى علمك ؟.

هذه اليد آلة عجيبة من صنع الله تبارك وتعالى أودعها الله ثمانية عشر ميزانا . ميزان الحرارة والأثقال .. هل أخترع الناس ميزانا يقيس الحرارة والوزن في وقت واحد ؟ سخن وبارد .. قريب وبعيد .. طويل وقصير .. ثقيل وخفيف .. خشن وناعم .. مستوى ومستدير .. يقاس بها متر ومترين وهكذا .. حتى الكفيف يقول هذه ورقة فئة خمسة .. وهذه فئة عشرة .. وهكذا .. بها بصمة الإنسان .

كم من المفصلات فيها ؟ كم من العظام فيها ؟ كم من العضلات فيها ؟ كم من الأبداع فيها ؟. . هذه يدك .. هل خلقتها ؟.

هذه العين بها ١٣٠ مليون حاسة لمستقبلات الضوء في مركز الأبصار في أطراف الأعصاب .. والعين تنقل الصورة مقلوبة ثم يتم عدلها في الرأس .. كيف تم عدلها ؟.

هذه العين بها ١٨ مليون عصب . والعين بها ٢٤ عضلة لتحريك حدقة العين .

عين الإنسان يمكنها تمييز ٨ مليون لون .. لو قسمنا اللون الأخضر الى ٨٠٠ ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تميز بين كل درجتين وبعض .

وزن العين ٨ جرام .. فيها كل الأبداع.. وكل العظمة.. وكل الدقة .

تشكل العين في الأسبوع السادس من فترة الحمل .. حيث تعمل الخلايا ضمن خطة لا يستوعبها العقل .. وتقوم الخلايا بصنع القرنية .. وخلايا بصنع العدسة .. والحدقة .. والشبكية .. والقرنية .. والقزحية .. والعصب البصرى .. وتقف كل خلية عند انتهاء الحد الذى يجب عليها صنعه .

وتتكون العين بشكل كامل من كل هذه الأجزاء المذهلة .

أفضل كاميرا في العالم تصنع من قطرة ماء في رحم الأم .

ولو أن الله عز وجل ترك لك شبكية العين كنت ستحتاج الى جهاز كمبيوتر يقوم بعمل ١٠٠ مليار عملية حسابية في الثانية الواحدة .

والشبكية بها ٥٠٠ مليون خلية بصرية .. الشبكية أوردة وشرايين دقيقة جدا _ العضلات الشعاعية _ وعندما تسقط الصورة على العين هناك خلايا ضوئية متخصصة (أعواد .. ومخاريط) . مستقبلات ضوء .. منها ٨ مليون مخروط متخصصة في الضوء المبهر .. ، و ١٥٠ مليون عود متخصصة في الضوء الخافت .

ويخرج من قاع العين العصب البصرى محملا بالمعلومات ويذهب الى المخ ويقول له هذه صورة فلان .. وهذه صورة فلان .. وهذا العصب البصرى ينقل طيف الضوء الى مركز البصر في الدماغ .

والعصب البصرى به نصف مليون ليفة عصبية .. يبلغ سرعة ارسال الصورة في العصب البصرى ١٠٠٠ متر في الثانية . والمخاريط والأعواد يعرفون الليل من النهار . مفتورة على هذا الأمر .

والذى يجعل المخاريط والأعواد تعمل دورة الليل والنهار . سبحان الخلاق العظيم . دقة . وعظمة . وإبداع .

آلاف النتوءات على لسانك . وآلاف الخلايا الحلمية على هذا اللسان . من الذى صنعها؟ ما هذه القدرة ؟ ما هذه العظمة ؟.

قال جل وعلا { يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }(١).؟

اذا نظرت الى أي حاسة من حواسك لوجدت فيها إبداع الملك جل وعلا . . فنعم الله جل وعلا تحيط بك من كل جانب .. استحضر عظمة الله وقدرته .

نبض القلوب بيد الله .. الفهم في العقول بيد الله .. النور في العيون بيد الله . هذا الكون عبارة عن صحائف منشورة تدلك على الحى الذى لا يموت . وتذكرك بفاطر السموات والأرض.

قضية هذه الأمة أن تعرف طريقها إلى ربها .. ضاعت طاقات الأمة في اللهو واللعب .

هذا النهار لا يأتي به إلا الله .. والليل لا يأتي به إلا الله .. أين الليل إذا جاء النهار ؟ الحبة لا تخرج من سواد الأرض إلا بأمر الله (فيها فاكهة) انظروا الى رزق الله لعباده .

---

(١) سورة الانفطار _ الآية ٦.

من الذى صبغ ألوان الفاكهة ؟ من الذى وضع فيها طعومها ؟ من الذى فضل بعضها على بعض في الرزق ؟ ويسقون من ماء واحد .. صنعة من ؟ كلنا عالة على موائد فضل الله جل وعلا.

ليس معه شريك في الخلق .. ليس معه شريك في الرزق .. ليس معه شريك في الإحياء . ليس معه شريك في الإماتة { قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ }(١).

الذرة توحد الله جل وعلا ويحكمها نظام .. المجرة توحد الله جل وعلا ويحكمها نظام .. لو نظرت إلى الذرة وجدتها محكومة بنظام .. لو نظرت الى الخلية وجدتها محكومة بنظام.. لو نظرت الى الأفلاك في السماء وجدتها محكومة بنظام { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }(٢). تحت قبضة من ؟ من لا تأخذه سنة ولا نوم .. من لايغفل ولا ينام . .كل شيء في هذا الكون موزون .. على مستوى الذرة .. على مستوى الخلية .. على مستوى الإنسان .. على مستوى الكون .. ليس هناك صدفة لا في الذرة ولا في

(١) سورة الأنبياء _ الآية ٣٣.
(٢) سورة الأنعام _ الآية ٩١.

المجرة . لا في حبة الرمل ولا في قطرة الماء.. كله بقدر العظيم من عند خالق عظيم.

قال جل وعلا { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**}(١) هذه الأرض تجرى وتدور حول نفسها .. وتدور حول الشمس .. والشمس والأرض هذه المجموعة تتحرك كلها في فضاء لانهاية له .. لا يعلم هذه النهاية الا الله .. ما أدرك العلم نهاية لهذا الكون .. هذه الحركة مستمرة .. من الذي ذلل لك الإقامة على ظهر هذه الدنيا مع حدوث هذه الحركة الدائمة ؟ الأرض تتحرك...لماذا لم تنقلب من فوقها ؟ لماذا لا تجئ البحار والأنهار على الأرض فتغرقها ؟.

ولو اقتربت الأرض في مدارها من الحدود التي رسمها الله عز وجل من الشمس لاحترقت الحياة.

ولو بعدت الأرض عن الشمس لتجمدت الحياة على ظهرها .

---

(١) سورة الملك _ الآية ١٥.

قال جل وعلا: { إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ }(١). لولا حفاظة الله لنا لهلكنا .. ان الله حفظ العين .. والسمع .. وحفظ كيانك كله بقدرته وعظمته .

لو أن الله سلط علينا الرياح ماذا نفعل ؟ لو سلط علينا البلايا والأمراض ماذا نفعل ؟ لو أن الله سلط علينا الحيات والعقارب ماذا نفعل ؟ لو اشتدت حرارة الشمس ماذا نفعل ؟ الله قادر على أن يهلكنا جميعا { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }(٢).

استحيوا من الله جل وعلا .. الذى يجعل النبض في القلوب.. والذى يجرى الدم في العروق.. استحيوا من الذى خلق الذرة.. واستحيوا من الذى خلق المجرة.. استحيوا من قدرة الله.. ومن كبرياء الله.. واستخدموا جوارحكم كما أمرنا الله .. ومن نظر في نفسه استحيا من الله.

(١) سورة الطارق _ الآية ٤.
(٢) سورة الملك _ الآية ٢٨.

من الذى خلق الحبة ؟ من الذى خلق النبتة ؟ أفلم ينظروا ؟ أفلم يتدبروا ؟ أفلم يتأملوا ؟ { أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ }(١) أعطاك النظر لتتأمل.

الله جل وعلا يريد أن يرفع بصرك من الأرض الى السماء .. فلا يقضي أمر في الأرض إلا قضي في السماء .. وما يحدث على هذه الأرض من أحوال انما هي ترجمة لحالنا مع الله جل وعلا .

أين أول السماء ؟ وأين نهايتها؟ كم هي مساحتها ؟ وكيف حجمها ؟ وكم سمكها ؟ والى أين تضرب أعماقها ؟ من الذى بنى هذه السماء ؟ قبة زرقاء أمرت أن تنظر اليها نظر التحدي .

قال جلا وعلا: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ }(٢).

كم في السماء من مناجم للكواكب ؟ وكم فيها من أجرام عظيمة ؟ هو صاحبها .. هو خالقها .. هو مصيرها .. لا إله غيره ولا رب سواه { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }(٣) .

---

(١) سورة ق _ الآية ٦.

(٢) سورة البروج _ الآية ١.

(٣) سورة الذاريات _ الآية ٤٧ .

أثبت علماء الفلك أن هذا الكون في حالة تمدد مستمر .. الى أين يتجه ؟ عليكم أن تردوا العقول أمام كبرياء وعظمة الله { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ }(١) إن الله أحكم صنعتها .. وأتقن هذا الصنع .. ليس فيها خلل.. وليس فيها عيب .. وليس فيها اضطراب .. وليس فيها نقص .. اذا نظرت الى السماء وجدتها متماسكة الأرجاء .. انظروا الى صنعة الله .ا واملأوا قلوبكم بقول لا إله الا الله .. فما أحكمت السماء الا بقدرة الله وعظمته .

ترون الرياح ؟ نعم .. من الذى يحمل هذه الرياح اليكم ؟ ويذروها في هذا الكون ؟ ملائكة وكلهم الله جل وعلا بأمر الرياح .. أنتم ترون الرياح ولا ترون الملائكة .. هل علمك أحاط بكل شيء؟ اذا أردت أن تعرف قدرك .. وأن تعرف علمك .. وأن تدرك قوتك .. فعليك أن تنسب ما تعرفه وما تقدر عليه، إلى مالا تعرفه ومالا تقدر عليه .. مالا تعرفه مالا نهاية . ومالا تقدر عليه مالا نهاية . فمعلوماتك وقدرتك أيا كانت بالنسبة لما تجهله صفر .

لا شيء بالمرة أمام قدرة الله.. وأمام عظمة الله.. وأمام كبرياء الله .

---

(١) سورة الذاريات _ الآية ٧ .

السحاب يحمل الماء .. من الذى يصرف السحاب ؟ إن الله جل وعلا يصرف السحاب .. وله ملائكة موكلة بالسحاب في السماء.

وما من قطرة ماء تنزل من السماء الا بمكيال على يد ملك .. ولكنكم لا تعلمون .

وما من حبة تخرج من الأرض الا بمكيال على يد ملك . ولا تحركت الرياح الا بمكيال على يد ملك .. أسراره لا يعلمها غيره .

هل علمتم علم ربكم جل وعلا ؟ هل تعلم يا ابن آدم شيئا عن الملائكة ؟ هل تعلم شيئا عن مخازن الرياح ؟ هل تعلم شيئا عن مخازن الأمطار ؟ هل تعلم شيئا عن الغيب الذى لا تدرى عنه شيئا في اللحظة القادمة . أو فى الغد المقبل ؟ هل تعرفون الغيب؟ هل تعلمون عنه شيئا؟ هل تدرى ما ادخره الله لك في الليلة القادمة ؟ هل تدرى ما ادخره الله لصحتك؟ لنظرك؟ لجاهك؟ لأولادك ؟ لزوجتك؟ أنت تجهل كل شيء عن الغيب المكنون ألذى سترته قدرة الله جل وعلا. أنت ضعيف .. مهما كنت عاجز لا تعلم شيئا .

أكبر العلماء لا يدرى ما الذى سطر في صحيفة قدره في اللحظة القادمة .

أكبر عالم لا يدرى ماذا سيكون أحوال أولاده من بعده .

لا أحد يعلم .. أو يدرى ماذا خبئ له في ليله أو في غده ؟ لا يدري ماذا يحدث الآن في بيته أو في بلده { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }(١) هل من خالق غير الله ؟

فليس هناك كبرياء الا لله .. ولا عزة إلا لله .. ولا اعتماد إلا على الله .. من اعتمد على عقله خل .. ومن اعتمد على ماله قل .. ومن اعتمد على جاهه ذل .. ومن اعتمد على نفسه كل .. ومن اعتمد على علمه ضل .. ومن اعتمد على الله فلا خل ولا قل ولا ذل ولا كَلَّ ولا ضل .

وقال جلا وعلا:{ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }(٢).

---

(١) سورة فاطر _ الآية ١٥.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٧١.

أنت لا تعرف شيئا .. هل عرفتم سر النوم ؟ سر الموت؟ سر الحياة؟ إن ابن آدم يجهل في هذا الكون كل شيء حوله.

وليس لك من الأمر الا أن تسلم نفسك لله . وليس هناك في كون الله ما يدل على أنه جل وعلا خلق هذا الخلق ومن شأنه اللعب أو الهزل .

ليس هناك هزل في كون الله تبارك وتعالى ولا في خلقه ولا في رزقه ولا في سمائه ولا في أرضه. { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(١) اذا أردت أن تعرف حقيقة الكون كلها فالله أكبر .. وكل ما عداه أصغر.

ولن تستشعر الاستعلاء والقوة الا اذا عرفت كيف تتصل بربك جل وعلا .. كيف تناجيه ؟ كيف تقف بين يديه ؟ كيف تدعوه ؟.

عن ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ : " وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ " (٢). وفي رواية

(١) سورة المدثر _ الآية ٣.

(٢) مسند الشهاب» الْجُزْءُ الثَّالِثُ مِنْ كِتَابِ مُسْنَدِ الشِّهَابِ ... » الْبَـــــــابُ الثَّانِي(٣٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم(١٦٨٩١)، حلية الأولياء لأبي نعيم(٣٩٧٥)

الإمام أحمد: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكْتَفِ بِرِزْقِ اللَّهِ " ، ..... " . (١).

كلكم مقهورون تحت سطوة كبرياءه وجبروته وعظمته . عقلك لاقيمة له . نظرك لا قيمة له . سمعك لا قيمة له . مالك لا قيمة له . كبريائك لا قيمة له . دون أن تسجد لكبرياء الله ولعظمته .. من أنت ؟ { **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** }(٢) ؟ مناقشة عقلية رائعة لقضية الإيمان والتوحيد .

هل خلقت بغير سبب؟ هل أنت موجود بغير موجد؟ هل أوجدت نفسك؟ من الذى أوجدك ؟ أم خلقوا السماء والأرض؟ السماء وما فيها .. الأرض وما فيها .. أشجار وثمار وأنهار .. من صاحب هذا الخلق ؟ الكل عجزة .. وخزائن الله تفتح بقدر الله وحده .. من يملك خزائن

(١) الزهد لأحمد بن حنبل(٨١٠).
(٢) سورة الطور _ الآية ٣٥.

السعادة؟ من يملك خزائن الرياح؟ من يملك خزائن الماء ؟ من يملك خزائن الأرض؟ انها قدرة الله وحده تتصرف فى هذا الكون .

والله يحكم لا معقب لحكمه . الله غنى .. فكر في عظمة الله وقدرته حتى تطمئن { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }(١) البعوضة فيها صنعة الصانع وقدرته جل وعلا .

إذا نظرت الى البعوضة كيف تتحرك؟ وكيف تقلق منامك ؟ وكيف تعكر صفوك؟ تعلم أنك ضعيف أمام قدرة الله تبارك وتعالى .

والبعوضة والذبابة والميكروب والفيروس ما هي إلا مظاهر من قدرة العلى الأعلى جل وعلا .

الله اعطاك العقل وستسأل عن هذا العقل بين يدى الله جل وعلا .

---

(١) سورة الحج _ الآية ٧٣.

والعاقل يتفكر في نفسه .. وفى خلقه .. وفى بدايته .. وفى نهايته .. ويعرف أين هو من الله تبارك وتعالى .. وأين هو من قضية وجوده .. أين أنت ؟ .

جئت الى هذه الدنيا وليست لك إرادة في المجيء .. وسترحل عنها وليست لك إرادة في الرحيل .

أنت محكوم من البداية الى النهاية . فكيف تريد أن تعيش على هواك ؟ كيف يكون ذلك ؟ الذى خلقك هو أدرى بمصلحتك.. وخلقك على حسب مشيئته لا على حسب مشيئتك .

ويعطيك الرزق على حسب إرادته لا على حسب إرادتك .

وينهى أجلك على حسب إرادته لا على حسب إرادتك .

فكيف تريد أن تنازعه الأمر وتكون لك إرادة مع إرادته سبحانه وتعالى ؟ ليس هذا من العقل .

قال جل وعلا: { وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }(١) ؟ آيات في النفس .

أقرأوا القرآن لتتعلموا من الله جل وعلا ما لذى يريده منكم ؟.

---

(١) سورة الذاريات _ الآية ٢١.

أنت جئت الى هذه الدنيا كيف؟ حجمك ليس حجم .. كل الأرض التي نحن عليها بكل ملايين البشر الذين يعيشون فيها يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون.. لهم أحلام .. ولهم آمال .. هذه الأرض كلها .. بكل من عليها .. كأنما قطرة في بحر محيط من علم الله جل وعلا .

هذه الأرض كلها ذرة في كون الله السحيق .. هذا الكون في قبضة الله من الذرة الى المجرة { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }(١) ، وقال تعالى{ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ }(٢) ، وقال تعالى:{ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا }(٣).

إذا نظرت الى المشرق فالله جل وعلا من ورائهم محيط.

واذا نظرت الى المغرب فالملك كله لله وحده .

تأملك في خلق الله يشرح لك صدرك .. ويزيد ايمانك بالله سعة وقدرة واقتدارا . . قرب الله أجمل من كل قريب .. وحب الله أحلى من كل

(١) سورة الشعراء _ الآية ٢٨.
(٢) سورة الرحمن _ الآية ١٧.
(٣) سورة المزمل _ الآية ٩.

حبيب. . يا الله . ماذا وجد من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟ من وجدك فقد وجد كل شيء. ومن فقدك ، فقد كل شيء.

أجل اعلاء كلمة الله عز وجل .

كان مع النبي في حجة الوداع أكثر من مائة وعشرين ألفا من أصحابه .. لم يدفن منهم بالجزيرة العربية الا عشرة آلاف . وبقية هذه الحشود في أرض الله وقبورهم شاهدة عليهم ، يقولون للناس: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا ، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا ذَلِكَ قَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ ، وَرَجَعْنَا عَنْهُ وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى ، وَالظَّفْرِ لِمَنْ بَقِيَ(١).

خرج أصحاب النبي من كل مرغوب ومحبوب ومألوف من أجل دين الله تبارك وتعالى .

---

(١) تاريخ الطبري.

أنفقوا حياتهم من أجل نصرة دين الله جل وعلا .. كانوا إما مهاجرين لأعلاء كلمة الله .. وإما أنصارا لدين الله جل وعلا . ليلهم قيام وذكر .. ونهارهم جهد ودعوة.

ثم نزعم بعد ذلك أننا مسلمون؟ لابد من أن نتحرك لهذا الدين حتى نرى جوهره . ونرى ما عند الله من كرامة لأهل الأيمان .. ولأهل التوحيد.. فرغوا الأوقات وتحركوا للدين .. وانتشروا في الأرض .. وقولوا للناس كما قال نبيكم: يَأَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا ، فعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، وَهُوَ يَقُولُ : " يَأَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا " ، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيَهُ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا: غُلامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَفِي هَذَا الْخَبَرِ دَلالَةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْكَعْبَ هُوَ الْعَظْمُ

النَّاتِئُ فِي جَانِبَيِ الْقَدَمِ، إِذِ الرَّمْيَةُ إِذَا جَاءَتْ مِنْ وَرَاءِ الْمَاشِي لا تَكَادُ تُصِيبُ الْقَدَمَ ، إِذِ السَّاقُ مَانِعٌ أَنْ تُصِيبَ الرَّمْيَةُ ظَهَرَ الْقَدَمِ (١).

هذا الدين يأمرك أن تتحول الى خلية حية تتحرك في أرض الله .

نريد أن نأخذ بزمام الناس جميعا الى الله تبارك وتعالى .

فكن واحدا من كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم .. ولا تجبن ولا تبخل ولا تتخلف.

وطنوا أنفسكم على بذل الجهد لأحياء كلمة الله في الأرض.

لن يعود الإسلام إلى حياتنا من غير جهد .. بالكسل والنوم والشهوة .. وإنما عودة الإسلام إلى الحياة بأن نتحرك لدين الله في الأرض .. نحمل لواء الدعوة ونتحمل تكاليفها وأعبائها .. ونكون اما مهاجرين لدين الله .. وأما أنصارا لدين الله .. هذا ما فهمه أصحاب النبي فتغربوا من أجل هذا الدين.

---

(١) صحيح ابن خزيمة» كِتَابُ الْوُضُوءِ» جُمَّاعُ أَبْوَابِ الْوُضُوءِ وَسُنَنِهِ(١٦٥)، صحيح ابن حبان » كِتَابُ التَّارِيخِ » بَابُ : كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ... (٦٧١٠) المستدرك على الصحيحين(٤١٥٠)، السنن الكبرى للبيهقي(٣٢٥)، سنن الدار قطني(٢٦١٨)، مسند ابن أبي شيبة(٨٢٥)،.

وبغربتهم عرف الناس دين الله تبارك وتعالى، وتعرف الناس على الإسلام من خلال هذه النماذج الحية التي عاشت دينها وابتغت وجه الله فيما تقول وفيما تعمل{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** }(١) فأين أنصار الله ؟ وأين أنصار دينه ؟ لا تدمروا مجتمعكم .. ولا تسخطوا على من حولكم .. فهم بؤساء تُعساء ضعفاء في حاجة الى رحمتكم .. وفى حاجة الى مودتكم .. فارفقوا بهم .. وعلموهم .. وخذوا بأيديهم الى الله تبارك وتعالى.

* * * * *

(١) سورة الصف _ الآية ١٤.

البيان الثاني

عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْيَهود ، والنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ ، فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ ، فَقَالَ : أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، قَالُوا : لَكَ مَا عَمِلْنَا ، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ "(١) .

وفي رواية أخرى للبخاري: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ ، وَالنَّصَارَى ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا ، يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ ، فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا ، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ

(١) صحيح البخاري(٥٢٧).

: لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا ، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا ، وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمَا : أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا ، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، قَالَا : لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمَا : أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ "(١).

الإسلام قادم على الدنيا كلها، بخيره وأنواره، لا مفر للبشرية من أن تُسلم زمامها إلى الله وحده، فالله أكبر ولا إله غيره، ولا رب سواه، ولا عز إلا لمن أطاع الله.

قضية الإسلام بيد الله، الله تولى زمام الأم، والأمر بيد الله جل وعلا.

وسيدخل الإسلام كل بيت، وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو ذل ذليل.. فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري(٢١٢٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " ، وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ ، يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ، وَالشَّرَفُ، وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ، وَالصَّغَارُ ، وَالْجِزْيَةُ (١).

فما على من زعم أنه من أتباع الله ورسوله إلا أن يُطيع الله ورسوله.

وأنه لا نجاة لك بين يدي الله إلا بتمام العبودية وتسليم الأمر لله وحده، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ (١٦٦١٤)، المستدرك على الصحيحين (٨٣٩٩) ، السنن الكبرى للبيهقي (١٧١٢٧) ،المعجم الكبير للطبراني (١٢٦٥)، مسند الشاميين للطبراني (٩٣٣) ،التاريخ الكبير للبخاري (٥١٦)، تاريخ دمشق لابن عساكر(٧٤٦١٨)، لإيمان لابن منده (١٠٩٥) .

ولو قرأنا تاريخ الإسلام الذي دخل على الدنيا فأشرقت كلها بأنوار التوحيد، لرأيتم العجب وامتلأت صدوركم بمحبة الله ورسوله، وبعز هذا الدين{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}(١) .

ومن رحمة الله أن أرسل أنبياءه ورسله لعباده{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(٢) .

ثم إن العجيب في هذا الدين أنه يلوي أعناق أعدائه فيشملهم بأنوار التوحيد، فيخرج من صفوف من كفروا ومن ألحدوا وعاندوا وعارضوا، من يرفع لواء التوحيد في أرض الله، فهذا دليل قهر الله لأعدائه.

فننظر كيف انتشر هذا الدين؟ وكيف يخرج الله لهذا الدين رجالا؟.

الله أرسل الأنبياء ليدلوا العباد عليه جل وعلا، وجعل أداة الاستدلال هذا الكون كله، فنحن نعيش في مدرسة قدرته الواسعة، فيها من وسائل

---

(١) سورة المنافقون _ الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران _ الآيتان ٣٣ ، ٣٤.

الايضاح كل وسيلة تدل عليه سبحانه{ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ }(١).

ثم بين لنا ربنا أننا سنبعث بعد هذه الحياة ، ويدلل على تلك القضية بطريقة في غاية البساطة والوضوح فقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا

(١) سورة الغاشية _ الآيات من ١٧ : ٢٦.

يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}(١) .

فهي قضية نطفة في رحم يتجلى عليها صاحب الكبرياء والعظمة لتكون بشرا سويا سميعا بصيرا{ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٢) .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول:" إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ : وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا، مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ ، مَا غَرَرْتُكُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا. وَإِنَّهَا لَلْجَنَّةُ أَبَدًا. وَالنَّارُ أَبَدًا، وَأَنْتُمْ لأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرُ (٣) "

هل تدري كيف تنام؟

---

(١) سورة الحج _ الآية ٥.
(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٩.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري .

ستظل البشرية عاجزة أمام تلك القضية، فأنت عاجز وفقير وضعيف أمام قدرة الله عز وجل{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}(١) .

وأنت في ضعفك مقهور من الله، يُصيبك الجوع ويصيبك العطش ويُصيبك الهم والحزن، وأنت في كل تلك الحالات تُظهر ضعفك لله عز وجل، ثم يَظهر عجزك كاملا عندما يأتيك ملك الموت ليدعوك إلى الله عز وجل: { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}(٢) .

فالسعيد من يفكر في هذه القضية، فنحنُ في هذه الدنيا غير مخلدين، بل سنرحل عنها، مسافر يودع مسافراً، وحي يودع حياً إلى آخر هذه الدنيا، ولا بقاء إلا لله عز وجل، فعلى العاقل أن يتدبر أمره، فهذا الكون يدل على الله جل وعلا.

والله سبحانه وتعالى أرسل رسله ليعلموا الناس الطريق الذي يوصلهم إلى خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة فاطر _ الآية ١٥.

(٢) سورة ق _ الآية ١٩.

فالله لا يريد بنا إلا الخير والرحمة، يريد منا أن نكون صادقين، وأن نكون أمناء على شرع الله.

كل الطرق إلى الله مسدودة إلا طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

كَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ (أي يتعبد) اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي . الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ . أي التعب والإعياء . ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ . ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)(١) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ

(١) سورة العلق _ الآيات من ١:٥.

بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ (١).

وكأن الله يعلمنا في أول كلمة من وحيه أنه يريد أن يستنهض هممنا.

والله سبحانه وتعالى لا يريد من الحبيب أن يزمل أو يدثر، وإنما يريد منه أن يقوم لهذا الدين، وأن يقوم لهذه الأمانة خير قيام، فيقول ربنا جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا}(٢).(٣).

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة في الصحيح.

(٢) سورة المزمل _ الآيات من ١ : ١١.

(٣) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ : أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ =

فكان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، من طول القيام بين يدي الله رب العالمين ذاكراً وداعياً.. وكان النبي يبكي بين يدي ربه حتى تبتل لحيته من شدة البكاء، وتبتل الأرض من بكاءه من طول السجود .

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟ فَقَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرَأُ : يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُلْتُ : بَلَى ! قَالَتْ فَإِنَّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ ، فَقَامَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وَذَكَرَ وَكِيعٌ وَيَعْلَى قَالَا : حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ سِمَاكٍ الْحَنَفِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا أُنْزِلَ أَوَّلُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى نَزَلَ آخِرُهَا ، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا نَحْوٌ مِنْ سَنَةٍ .

وَعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : كُنْتُ أَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَصِيرًا يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتَهُمْ كَرِهَ ذَلِكَ ، وَخَشِيَ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ كَالْمُغْضَبِ ، فَجَعَلُوا يَتَنَحْنَحُونَ وَيَتْفُلُونَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ ، حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ " . فَنَزَلَتْ : يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ فَكُتِبَ عَلَيْهِمْ ، فَأُنْزِلَ بِمَنْزِلَةِ الْفَرِيضَةِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَرْبِطُ الْحَبْلَ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ ، فَمَكَثُوا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ فَرَدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى الْفَرِيضَةِ ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا مَا تَطَوَّعُوا بِهِ .(تفسير القرطبي).

ماذا يفعل في الليل: يملأ الليل بذكر الله تعالى، قال تعالى: { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا }(١) .

لأن الأمانة ثقيلة{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا }(٢).

ثم يناديه ربه بعد أن قام الليل ليقوم بالنهار لدعوة الناس إلى الله: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ .قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }(٣).

---

(١) سورة المزمل _ الآية ٤.

(٢) سورة المزمل _ الآيات من ٥ : ١٠.

(٣) سورة المدثر _ الآيات من ١ : ٧.

ففي الليل يناديه ربه:(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ)، وفي النهار يناديه ربه:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمِ) ففي الليل قم وفي النهار قم ، فمتى كنت تنام أو ترتاح يا رسول؟.

في الليل بين يدي الله وفي النهار يسبح في قلوب الناس(١) ويمشي إليهم في مجالسهم ويكلمهم ويقول لهم كلمة واحدة:" قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ".. عَنْ يَحْيَى قَالَ عَبْدٌ هُوَ ابْنُ عَبَّادٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ

(١) يقول الشيخ عبد الوهاب: الله ﷻ وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴾ يعنى الداعي مثل السابح في النهر، فالذي يسبح في النهر لا يغفل دقيقة واحدة وكذلك الرسول ﷺ، ما غفل في النهار دقيقة واحدة عن الدعوة إلى الله ﷻ(كتاب فرضية الدعوة إلى الله بقلم المؤلف) .

قَالَ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ يَا عَمِّ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالُوا إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ قَالَ فَنَزَلَ فِيهِمْ الْقُرْآنُ (**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** إِلَى قَوْلِهِ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

فرسول الله يدعو وكل من آمن به يدعو.. فالنبي يجتهد في الليل والنهار ، وبجهد الليل والنهار(الدعوة والدعاء) يجد الدين في كل يوم له أنصارا، وتتفتح القلوب لأنوار هذا الدين.

ثم تضيق الأمور بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، فيأذن الله عز وجل له بالهجرة إلى المدينة.

كانت في مكة دعوة ولم يكن فيها نصرة لدين الله، فلما هاجر النبي من مكة إلى المدينة وجد بجانب الدعوة النصرة لدبن الله، فبدأ هذا الدين أن ينتشر.

---

(١) سنن الترمذي» كتاب تفسير القرآن» باب ومن سورة ص(٣٢٣٢).

خرج النبي من مكة ومعه الصديق{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١) .

يخرج النبي من مكة وحده خائفا ليس معه إلا أبو بكر الصديق، ثم يرجع إليها فاتحا معه عشرة آلاف فارس من أصحابه.

وبعد ذلك يرجع إليها حاجا لبيت الله تعالى معه مائة وعشرين ألفا في حجة الوداع.

وفي حجة الوداع يرسم النبي صلى الله عليه وسلم معالم الإسلام، فيخطب فيهم:.....وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ

(١) سورة التوبة _ الآية ٤٠.

يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: « اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ..... (١).

وفي يوم النحر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أمانته: " فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ أمر ربه ، ولكن من يبلغ الناس إلى يوم القيامة؟، والنبي أرسل كافة للناس، ولذلك في يوم النحر أعطى أمته أمانته.

وفي يوم النحر يسأل أصحابه: كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . رضى الله عنهما . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ . أَىُّ يَوْمٍ هَذَا " . قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ " فَأَىُّ بَلَدٍ هَذَا " . قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ " فَأَىُّ شَهْرٍ هَذَا " . قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا " . فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ " . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . رضى

(١)أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

الله عنهما . فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ . " فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " .

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ . رضى الله عنه . قَالَ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ " أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا " . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ " أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ " . قُلْنَا بَلَى . قَالَ " أَىُّ شَهْرٍ هَذَا " . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . فَقَالَ " أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ " . قُلْنَا بَلَى . قَالَ " أَىُّ بَلَدٍ هَذَا " . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ " أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ " . قُلْنَا بَلَى . قَالَ " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ . أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ " . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ " اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ. رضى الله عنهما . قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِمِنًى " أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا " . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَقَالَ " فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَىُّ بَلَدٍ هَذَا " . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ " بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَىُّ شَهْرٍ هَذَا " . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ " شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ . فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا " . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ . رضى الله عنهما . وَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ " هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ "، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ " اللَّهُمَّ اشْهَدْ " . وَوَدَّعَ النَّاسَ . فَقَالُوا هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ (١).

كأن الله يعلمنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن الدين إذا جاء في حياتنا، حفظت الأموال، وحفظت الأعراض، وحفظت الدماء، وحفظت كل قيم الحياة.

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الحج _ خطبة يوم النحر .

ما هي مسئوليتنا بعد أن انتقل نبينا محمد إلى لقاء ربه؟

نحن أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وأتباع النبي الخاتم:{ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}(١) .

فكل من وجد في قلبه محبة لله ولرسوله، عليه أن يفهم أنه مكلف بحمل أمانة الدعوة إلى الله جل وعلا، وكن تغيرت علينا أحوال الدنيا، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا ما سيكون عليه حالنا: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّكُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ سَكْرَتَانِ ، سَكْرَةُ الْجَهْلِ ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ ، وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا فَلا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الْقَائِلُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ ، وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ " (٢).

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٢) البحر الزخار مسند البزار» مُسْنَدُ معاذ بْن جبل رضي الله عَنْهُ» أَوَّلُ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ(٢٣١١).

وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ (١)كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ (٢) فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ(٣).

فإذا كانت الليالي على ترتيب ليالي النبي، والنهار كنهار النبي صلى الله عليه وسلم، تنزل نصرة الله جل وعلا.

ولكن إذا صارت الغفلة في حياة المسلمين، فهنا ترفع النصرة.

---

(١) يُوشِكُ الْأُمَمُ : أَيْ يَقْرَبُ فِرَقُ الْكُفْرِ وَأُمَمُ الضَّلَالَةِ (أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ) : بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائَيْنِ أَيْ تَتَدَاعَى بِأَنْ يَدْعُوَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِمُقَاتَلَتِكُمْ وَكَسْرِ شَوْكَتِكُمْ وَسَلْبِ مَا مَلَكْتُمُوهُ مِنَ الدِّيَارِ وَالْأَمْوَالِ (عون المعبود في شرح سنن أبي داود).

(٢)(الْوَهْنَ) : أَيِ الضَّعْفَ ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْوَهْنِ مَا يُوجِبُهُ وَلِذَلِكَ فَسَّرَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةِ الْمَوْتِ قَالَهُ الْقَارِيُّ (وَمَا الْوَهْنُ) : أَيْ مَا يُوجِبُهُ وَمَا سَبَبُهُ . (المرجع السابق).

(٣) سنن أبي داود» كتاب الملاحم » باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤٢٩٧).

فنضحي حتى نحب لقاء الله، كان خالد بن الوليد يقول للأعداء: إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ وَإِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ ؛ فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَالْجِزْيَةِ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ ؛ فَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ. فَقَالُوا: لا حَاجَةَ لَنَا فِي حَرْبِكَ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَانَتْ أَوَّلُ جِزْيَةٍ حُمِلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْعِرَاقِ.

وإليكم قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفسا، لكن في أعماقه رغبة ملحة وشوق أكيد للتوبة إلى الله، ومهما كانت المعاصي التي ارتكبها، ولكن من شروط التوبة كما قال له العالم: أن يترك بلده التي ارتكب فيها تلك المعاصي، فحمل متاعه فوق ظهره، وترك بلده ليعلن توبته لله تعالى: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ

وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُد اللَّهَ مَعَهُمْ وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ(١)، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ(٢)(٣).

---

(١) قال النووي: وقوله في الحديث: (وَلا تَرْجِع إِلَى أَرْضك فَإِنَّهَا أَرْض سُوء) قَالَ الْعُلَمَاء: فِي هَذَا اسْتِحْبَاب مُفَارَقَة التَّائِب الْمَوَاضِع الَّتِي أَصَابَ بِهَا الذُّنُوب، وَالأَخْدَان الْمُسَاعِدِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَمُقَاطَعَتهمْ مَا دَامُوا عَلَى حَالهمْ، وَأَنْ يَسْتَبْدِل بِهِمْ صُحْبَة أَهْل الْخَيْر وَالصَّلَاح وَالْعُلَمَاء وَالْمُتَعَبِّدِينَ الْوَرِعِينَ وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَيَنْتَفِع بِصُحْبَتِهِمْ، وَتَتَأَكَّد بِذَلِكَ تَوْبَته(صحيح مسلم شرح النووي).

(٢) صحيح البخاري، ح: (٣٤٧٠). وصحيح مسلم، ح: (٢٧٦٦).

(٣) قال النووي: مَذْهَب أَهْل الْعِلْم، وَإِجْمَاعهمْ عَلَى صِحَّة تَوْبَة الْقَاتِل عَمْدًا، وَلَمْ يُخَالِف أَحَد مِنْهُمْ إِلَّا اِبْن عَبَّاس. وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْض السَّلَف مِنْ خِلَاف هَذَا، =

= فَمُرَاد قَائِله الزَّجْر عَنْ سَبَب التَّوْبَة، لَا أَنَّهُ يَعْتَقِد بُطْلَان تَوْبَته. وَهَذَا الْحَدِيث ظَاهِر فِيهِ، وَهُوَ إِنْ كَانَ شَرْعًا لِمَنْ قَبْلنَا، وَفِي الِاحْتِجَاج بِهِ خِلَاف فَلَيْسَ مَوْضِع الْخِلَاف، وَإِنَّمَا مَوْضِعه إِذَا لَمْ يَرِدْ شَرْعنَا بِمُوَافَقَتِهِ وَتَقْرِيره، فَإِنْ وَرَدَ كَانَ شَرْعًا لَنَا بِلَا شَكٍّ، وَهَذَا قَدْ وَرَدَ شَرْعنَا بِهِ وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَر وَلا يَقْتُلُونَ) إِلَى قَوْله: (إِلاَّ مَنْ تَابَ) الْآيَة وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: (وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدًا فِيهَا) فَالصَّوَاب فِي مَعْنَاهَا: أَنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّم، وَقَدْ يُجَازَى بِهِ، وَقَدْ يُجَازَى بِغَيْرِهِ وَقَدْ لَا يُجَازَى بَلْ يُعْفَى عَنْهُ، فَإِنْ قَتَلَ عَمْدًا مُسْتَحِلًّا لَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا تَأْوِيل، فَهُوَ كَافِر مُرْتَدّ، يَخْلُد بِهِ فِي جَهَنَّم بِالْإِجْمَاعِ، وَإِنْ كَانَ غَيْر مُسْتَحِلّ بَلْ مُعْتَقِدًا تَحْرِيمه فَهُوَ فَاسِق عَاصٍ مُرْتَكِب كَبِيرَة، جَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدًا فِيهَا، لَكِنْ بِفَضْلِ اللَّه تَعَالَى ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُخَلَّد مَنْ مَاتَ مُوَحِّدًا فِيهَا، فَلَا يَخْلُد هَذَا، وَلَكِنْ قَدْ يُعْفَى عَنْهُ، فَلَا يَدْخُل النَّار أَصْلًا، وَقَدْ لَا يُعْفَى عَنْهُ، بَلْ يُعَذَّب كَسَائِرِ الْعُصَاة الْمُوَحِّدِينَ، ثُمَّ يَخْرُج مَعَهُمْ إِلَى الْجَنَّة، وَلَا يُخَلَّد فِي النَّار، فَهَذَا هُوَ الصَّوَاب فِي مَعْنَى الْآيَة، وَلَا يَلْزَم مِنْ كَوْنه يَسْتَحِقّ أَنْ يُجَازَى بِعُقُوبَةٍ مَخْصُوصَة أَنْ يَتَحَتَّم ذَلِكَ الْجَزَاء، وَلَيْسَ فِي الْآيَة إِخْبَار بِأَنَّهُ يُخَلَّد فِي جَهَنَّم، وَإِنَّمَا فِيهَا أَنَّهَا جَزَاؤُهُ أَي: يَسْتَحِقّ أَنْ يُجَازَى بِذَلِكَ.. (صحيح مسلم شرح النووي).

من فوائد الحديث:

١- مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه.

٢- فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولا بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة.

فلا بد أن نبدأ الرحلة إلى الله، وعندنا تجربة نُعرضها عليكم طلبا للنصرة، فدين الله الآن مثل اليتيم الذي لا يجد من يمسح على راسه، دين الله كاليتيم الذي لا يجد من يدافع عنه، ولا من يحميه.

أبناؤنا الآن تأكلهم العطلات وتأكلهم الشهوات، ولا يوجد من يبكي عليهم، ولا من يدلهم على الله جل وعلا، والله رحيم بنا، والطريق هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم.. إعادة الحياة إلى حياة الرسول فنحمل فراشنا من مسجد إلى مسجد، ومن مكان إلى مكان، نتجول بدين الله عز وجل ، نعرض الدين بصوره المشرقة على الناس.

٣- في الحديث إشارة إلى قلة فطنة الراهب لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحا في عدم قبول توبة القاتل فضلا عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنونا.

٤- فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك،- يعني رجوعه للمعصية - إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها(فتح الباري).

نشغل بالليل بالذكر والطاعة، ونشغل النهار بزيارة المسلمين ، نقول لهم: نحنُ وأنتم في حاجة إلى الله عز وجل.

وبهذه المجالس تنزل رحمات الله تعالى ، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ

مِنْ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

ونقول للناس جئنا لنلتمس الرحمة والمغفرة من الله عز وجل، ونقول لكم : هذا الدين سيظهره الله حتما، ولهذا الدين رجال ونساء يقدمون لله، وعلامة الصدق التضحية، يقدمون أنفسهم وأموالهم، ويتحركون في الأمة، لأن الناس تحترق بنار المعصية، وهم في حاجة لمن يقول لهم أن السعادة في ذل العبودية لله تعالى.

* * * * *

(١) صحيح البخاري» كتاب الدعوات» باب فضل ذكر الله عز وجل (٦٠٤٥).

البيان الثالث

الاتباع لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١) .

هو الذى بين لنا ربنا جل وعلا أن أسوته وطاعة أمره هي الطريق الوحيد للتعبير عن محبة الله جل وعلا.

وهو الذى حكى عنه ربه{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}(٢) .

وقال تعالى{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٣١.

(٢) سورة التوبة _ الآية ١٢٨.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }(١) .

تسليما لهدى رسول الله، وتسليما لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وتسليما لأوامر الله التي جاء بها الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وإلا فنحن نكذب حين نزعم أننا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ "(٢) .

وفي رواية الحاكم: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ الْجُهَنِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ،

---

(١) سورة النساء _ الآيتان ٦٤، ٦٥.

(٢) سنن أبي داود(٤٠٦٣)، المعجم الكبير للطبراني (٧٤٩١)، المعجم الأوسط للطبراني(٩٣١٦) ، مسند الشامين (١٢٣٦) ، شعب الإيمان للبيهقي (٨٤٤٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٥١٧، ٣٤١٩٥).

وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ . (١).

فالإيمان له ثمرات .. له ثمرات في المشاعر.. وله ثمرات في السلوك.

فانظر أين سلوكك من أوامر الله وأوامر رسوله؟ أين فكرك من فكر النبى صلى الله عليه وسلم.؟ .

أين أسلوب حياتك من هدى سيد الأولين والآخرين؟ الذى قال عنه ربه{ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**}(٢) .

أما مواصفات أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، { **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن**

(١) المستدرك على الصحيحين» كتاب النكاح» باب مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ (٢٧٤١).
(٢) سورة الأحزاب _ الآية ٢١.

قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }(١) ، فاحفظوها وتعلموها.

ما أعظم هذا القرآن؟ إنه كلام الله جل وعلا يوضح النفس الإنسانية لأصحابها.. ويبين منهج الله تعالى في تعامله مع من يحملون لواء التوحيد في أرض الله سبحانه وتعالى.

وعندما نحدث الناس عن الله تبارك وتعالى وحين ترى أحوال الناس تجد سفاهة وغفلة وبعدا عن الله ، وتهجما على أوامر الله، وكفرا بآيات الله تبارك وتعالى.

ماذا نفعل؟ نصبر.. ونسامح.. ونتجاوز.. ونتحمل.. فلسنا أكرم على الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، نبينا صلى الله عليه وسلم من أجل هذا الدين العظيم تحمل الكثير: فعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ ، قال: ذَاكَ يَوْمٌ كَانَ كُلُّه لِطَلْحَةَ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ، قال: كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَرَأَيْتُ رَجُلا يقَاتَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ دُونَهُ ، وأَرَاهُ قال:

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٢٣.

يَحْمِيهِ ، قال: فَقُلْتُ: كُنْ طَلْحَةَ ، حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي، فَقُلْتُ: يَكُونُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي أَحَبَّ إِلَيَّ، وبَيْنِي وبَيْنَ الْمَشْرِقِ رَجُلٌ لا أَعْرِفُهُ ، وأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْهُ ، وهُوَ يَخْطِفُ الْمَشْيَ خَطْفًا ، لا أَخْطِفُهُ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، وقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وشُجَّ وجْهُهُ ، وقَدْ دَخَلَ فِي وجْنَتَيْهِ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم : " عَلَيْكُمَا صَاحِبَكُمَا "، يُرِيدُ طَلْحَةَ، وقَدْ نَزَفَ ، فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ، قال: فَذَهَبْتُ لأَنْزَعَ ذَاكَ مِنْ وجْهِهِ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي فَتَرَكْتُهُ ، فَكَرِهَ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ، فَيُؤْذِي نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، فَأَزَمَّ عَلَيْهِمَا بِفِيهِ، فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ ، ووَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ، وذَهَبْتُ لأَصْنَعَ مَا صَنَعَ، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي، قال: فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى. فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِفَارِ ، فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وسَبْعُونَ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ، بَيْنَ طَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ وضَرْبَةٍ ، وإِذَا قَدْ قُطِعَتْ يَدُهُ ، فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ(١).

وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى سال الدم من سيد الخلق من أجل دين الله العظيم،.. فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ : (كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا رَأْسَ نَبِيِّهِمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ ؟) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢).

(١) صحيح ابن حبان(٧١٣٨)، المستدرك على الصحيحين (٥٥٨٣) ، مسند أبي داود الطيالسي (٥)، دلائل النبوة للبيهقي (١١٥٩)، المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي (٥٨٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥٧٧١، ٢٤٧٤٦)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥٦٢)، البحر الزخار بمسند البزار (٨٧) ، حلية الأولياء لأبي نعيم(٢٦٤)، تهذيب الكمال للمزي» طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد (١٤٧٦).

(٢) مشكاة المصابيح» كتاب الفضائل» باب المبعث وبدء الوحي.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ فَقَالَ:" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ – عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) . قَالَ : (فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

(١) المرجع السابق.

رأفة.. رحمة. . مزاج الدعوة الى الله.. يا من تريدون فهم الاسلام.. الذى يحمل كلمة الله يقطر رحمة على عباد الله.. ويحب للناس جميعا الخير.. فإذا ما تعرض لحق يريده الله تبارك وتعالى فهو على استعداد دائما أن يقدم أنفاسه الأخيرة من أجل أن تظل لا إله الا الله كلمة تتوج هذه الدنيا الى آخر الزمان .. رحمة{ **قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** }(١) .

(**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا**) لمن ؟ (**لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ**) الذين يكفرون بالله.. ولا يريدون فهم سنة الله .. ولا قرآن الله.. ولا أوامر الله.. نغفر لهم.. ونتجاوز عنهم.. ونسامحهم.. وهذا الكلام موجه الى كل شاب ذاق حلاوة الايمان.. واضطربت عروقه بمحبة الله ثم وجد المجتمع من حوله يعلن الحرب على الله تبارك وتعالى .. لا تدمروا مجتمعكم . ولا تسخطوا على من حولكم .. فهم بؤساء تعساء ضعفاء في حاجة الى رحمتكم .. وفى حاجة الى مغفرتكم .. وفى حاجة الى مودتكم .. فارفقوا بهم .. وعلموهم .. وخذوا بأيديهم الى الله تبارك وتعالى. . سيدنا مُعَاذُ

---

(١) سورة الجاثية _ الآية ١٤.

بْنُ جَبَلٍ حينما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ ، .. (١).

أعظم وظيفة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، ووظيفة الأنبياء هي التبليغ عن الله جل وعلا. . يعلمون الناس ما يريده منهم ربهم الذى خلقهم.

(١) الحديث بتمامه: عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ ، فَوَقَعَتْ لَهُ فِي قَلْبِي مَحَبَّةٌ ، فَلَمْ أُفَارِقْهُ حَتَّى مَاتَ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بَكَيْتُ ، فَقَالَ لِي: مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقُلْتُ : أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ أَبْكِي، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي يَذْهَبُ مَعَكَ، قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ ثَابِتَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ، فَإِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَلْمَانَ الْخَيْرِ، وَعُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَلَحِقْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَمَرَنِي بِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنْ صَلِّ الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا وَاجْعَلْ صَلاتَهُمْ تَسْبِيحًا " ، فَذَكَرْتُ فَضِيلَةَ الْجَمَاعَةِ، فَضَرَبَ عَلَى فَخِذِي ، وَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ الْجَمَاعَةَ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ(مسند الشاميين للطبراني» مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » مَا رَوَى ابْنُ ثَوْبَانَ، عَنِ الشَّامِيِّينَ» ابْنُ ثَوْبَانَ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ _ رقم ٢١٦).

أعلى الوظائف أن تكون رسولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تكون مبلغا عن رسول الله، وأن تفهم قول النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (١).

هذا ما فهمه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتغربوا من أجل هذا الدين وبغربتهم عرف الناس دين الله تبارك وتعالى، وتعرف الناس على الإسلام من خلال هذه النماذج الحية التي عاشت دينها وابتغت وجه الله فيما تقول وفيما تعمل.

معاذ بن جبل حضرته الوفاة غريبا عن أهله.. غريبا عن وطنه.. من أجل من هذه الغربة؟ من أجل من؟ نحن نريد أن ينتشر الإسلام ونحن نتكلم عن الجهد وعن الجهاد وعن الإسلام وعن التضحية وكل منا لا يرضى أن يبيت خارج بيته ليلة واحدة، ويبات خارج بيته عام

(١) صحيح البخاري _ الآية (٣٢٢٦)، سنن الترمذي(٢٦١٢)، سنن الدارمي (٥٤٣)، مسند أحمد بن حنبل (٦٣٠٦)، صحيح ابن حبان (٦٣٩١)، مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠٣)، مصنف عبد الرازق (١٨٥٧٤)، المعجم الصغير للطبراني (٤٦٣).

وعامين، وعشرة أعوام من أجل أن يأتي بالأموال من الخارج، أومن أجل أن يتحصل على أعلى الشهادات من الخارج، ومن الممكن وهو ذاهب ليتحصل عليها يموت في الطريق.

كل واحد منا على أتم استعداد لتحمل أي مشقة أو أي غربة من أجل المال .. من أجل الشهادات.. من أجل أي عرض من أعراض الدنيا. ولكن من أجل أن نتحمل غربة لله ؟ هذا أمر دونك والنجوم . معاذ بن جبل حضرته الوفاة غريبا.

قال جل وعلا{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** }(١).

فأين أنصار الله ؟ وأين أنصار دينه؟ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّكُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ سَكْرَتَانِ، سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ

(١) سورة الصف _ الآية ١٤.

الْعَيْشِ ، وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا فَلا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْقَائِلُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ " (١).

الإسلام ما انتشر بالكلام ولا بأن نضيع أعمارنا نسمع الكلام عن الاسلام.

كفانا كلاما هذا الدين لا تعرف حقيقته دون أن تحمله فكرا وسلوكا ودعوة، ولن تشعر بعظمة هذا الدين إلا بمعايشة هذا الدين.

إذا أردنا أن نعيش إسلامنا فلا يمكن أن يعاش هذا الإسلام مجرد فكرة أو مجرد مجموعة من المعلومات تجمعها وترتبها وتنمقها وتحفظها وتتكلم بها اذا كانت هناك مدعاة للكلام.

إنما هذا الدين لا يظهر أسراره وحقائقه إلا اذا عشته وتحركت به ومن أجله وله فهذا دين يحتاج إلى جهد في الليل والنهار كيف نبلغ هذا الدين كيف نظهر هذا الدين كيف ننفذ أوامر الله جل وعلا كيف نأخذ

---

(١) البحر الزخار مسند البزار» مُسْنَدُ معاذ بْن جبل رضي الله عَنْهُ » أَوَّلُ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ(٢٣١١).

من لا يصلى إلى الصلاة كيف نذكر من غفل عن ذكر الله فهذا دين يحتاج الى جهد وجهد النبي صلى الله عليه وسلم كان هجرة ونصرة .. هجرة ونصرة .. فبجناحي الهجرة والنصرة يطير الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ومن غير هجرة ونصرة لا ينتشر الدين .

والاسلام ليس قضية أن تسمع عن الإسلام ثم تنام في بيتك إنما الاسلام أن تفهم دينك ثم تبلغه لغيرك وأن تكون منارة.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انطلقوا في زمن النبي وبعده إلى أنحاء الارض فدليل الحياة الحركة فلا بد من حركة للإسلام .

لا بد من حركة تجعل المسجد بداية لها ونهاية لها ، فعمروا المساجد، وتحركوا لهذا الدين العظيم، واستشعروا الثقة في الله، والثقة في دينكم والرضا بأحكام هذا الدين والرضا والمحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعلموا أن هذا الدين لن يقوم إلا بكم إذا كنتم ستقدمون التضحية والجهد والأوقات والأموال لله وحده .

يا شباب الإسلام: إن الشيء يستمد قيمته من وظيفته، وهذه الأمة تستمد قيمتها من أعلى وظيفة، ووظيفة هذه الأمة هي الدعوة الى الله جل وعلا .

فإذا نظرت إلى أحوال المسلمين رأيت جهلا ورأيت فقرا ورأيت عذابا ، ورأيت ذلا وشدة .. فاعلم أن هذه الأمة سقطت من عين الله ومن عين الناس، لأنها تركت وظيفتها، ولو أنها قامت بأداء أمانة الوظيفة لشرفها الله جل وعلا في الدنيا والآخرة .

وظيفة هذه الأمة أن تحمل لواء الدعوة الى الله جل وعلا { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١).

والبعض يتصور أن قضية الدعوة الى الله جل وعلا تكليف أمر الله به الأنبياء والمرسلين، وليس من شأنه أن يحمل أمانة هذا التكليف فهو ليس نبيا وليس رسولا .

ولكن الله جل وعلا حمل هذه الأمة أمانة الدعوة إلى يوم القيامة.

والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ دين الله جل وعلا تندرج الأمة بكاملها تحته { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }(٢) ورسول الله انتقل الى الرفيق الأعلى .. وأمانة البلاغ الى يوم القيامة قائمة من

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤.
(٢) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧.

تحمل هذه الأمانة .. والأمة مكلفة من الله جل وعلا أن تحمل أمانة دعوة الناس الى الله جل وعلا الى يوم القيامة .

وسنسأل جميعا عن أعلام هذا الدين المنكسة في مشارق الأرض ومغاربها .. احملوا أمانة هذا الدين .. احملوه على جوارحكم .. وعلى ألسنتكم .

وتحركوا في أرض الله لحفاظ قضية التوحيد .. وقضية الإيمان .. فكلنا مأمور بالبلاغ عن الله جل وعلا ، وعن رسوله: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (١).

أعطانا الله جل وعلا أعظم النعم .. نعمة الإسلام .. ومن علينا بالقرآن العظيم .. وعلمنا هدى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح البخاري _ الآية (٣٢٢٦)، سنن الترمذي(٢٦١٢)، سنن الدارمي (٥٤٣)، مسند أحمد بن حنبل (٦٣٠٦)، صحيح ابن حبان (٦٣٩١)، مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠٣)، مصنف عبد الرازق (١٨٥٧٤)، المعجم الصغير للطبراني (٤٦٣).

أكثر الناس ظلما لنفسه من يكتم هذه النعم ولا ينشرها ولا يبلغها .. ولا يأخذ بحجز الناس كما كان يفعل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه .

بينوا هذا الدين، وأظهروا دين الله جل وعلا بقلوبكم وعلى ألسنتكم، وعلى جوارحكم وحولوا الإسلام من آيات في كتاب الله .

ومن نصوص في حديث النبي الى واقع يتجدد في حياة الناس . ولا تكتموا ما آتاكم الله من فضله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ }(١) أبدع استفهام في كتاب الله جل وعلا .

أي خسارة ستنالك اذا ضحيت لدين الله جل وعلا ؟ أي خسارة ستلحقك اذا تحركت لدين الله جل وعلا ؟ أي خسارة ستدركك اذا قمت بتبليغ دين الله جل وعلا ؟ أي ندامة ستلحقك اذا قمت بالدعوة الى الله ؟.

قال الله تعالى:{ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ

(١) سورة التوبة _ الآية ٣٨.

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }(١) من أجل ذلك خرج أصحاب النبي وتركوا كل مألوف ومرغوب ومحبوب فتحركوا من بلادهم من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل .

كانوا مع النبي في حجة الوداع أكثر من مائة وعشرين ألفا من أصحابه، لم يدفن منهم بالجزيرة العربية الا عشرة آلاف وبقية هذه الحشود في أرض الله وقبورهم شاهدة عليهم (فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتَها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إلى الله.

خرج أصحاب النبي من كل مرغوب ومحبوب ومألوف من أجل دين الله تبارك وتعالى.

أنفقوا حياتهم من أجل نصرة دين الله جل وعلا .

كانوا اما مهاجرين لأعلاء كلمة الله، وإما أنصارا لدين الله جل وعلا.

---

(١) سورة التوبة _ الآية ٢٤ .

ليلهم قيام وذكر .. ونهارهم جهد ودعوة .

ثم نزعم بعد ذلك أننا مسلمون؟ لا بد من أن نتحرك لهذا الدين حتى نرى جوهره، ونرى ما عند الله من كرامة لأهل الأيمان ولأهل التوحيد.

فرغوا الأوقات وتحركوا للدين . وانتشروا فى الأرض . وقولوا للناس كما قال نبيكم : يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا) .

هذا الدين يأمرك أن تتحول الى خلية حية تتحرك في أرض الله. نريد أن نأخذ بزمام الناس جميعا الى الله تبارك وتعالى . فكن واحدا من كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم.. ولا تجبنوا ولا تبخلول ولا تتخلفوا.. وطنوا أنفسكم على بذل الجهد لأحياء كلمة الله فى الأرض .

لن يعود الإسلام الى حياتنا من غير جهد . بالكسل والنوم والشهوة . وانما عودة الإسلام الى الحياة بأن نتحرك لدين الله في الأرض.

نحمل لواء الدعوة ونتحمل تكاليفها وأعبائها ونكون إما مهاجرين لدين الله.. وإما أنصارا لدين الله.. هذا ما فهمه أصحاب النبي فتغربوا من أجل هذا الدين .

وبغربتهم عرف الناس دين الله تبارك وتعالى .. وتعرف الناس على الإسلام من خلال هذه النماذج الحية.. التي عاشت دينها وابتغت وجه

الله فيما تقول وفيما تعمل{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }(١) فأين أنصار الله ؟ وأين أنصار دينه؟ ولا تدمروا مجتمعكم .. ولا تسخطوا على من حولكم . فهم بؤساء تعساء ضعفاء فى حاجة الى رحمتكم . وفى حاجة الى مغفرتكم . وفى حاجة الى مودتكم . فارفقوا بهم . وعلموهم . وخذوا بأيديهم الى الله تبارك وتعالى.

هناك طريق الى الجنة وطريق الى النار .. فعلى كل انسان أن يقرر فيما بينه وبين نفسه أي السبيلين تريد أن تختار ؟ ومن أي الفريقين تريد أن تكون ؟ فلكل سبيل تبعته . ولكل سبيل التزاماته.

ولا يصلح أن تكون مع الله جل وعلا على أي حال .. يعنى تصلح للدنيا وتصلح للآخرة .. تصلح للجنة وتصلح للنار .. الله جل وعلا يريدك خالصا له وحده { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

(١) سورة الصف _ الآية ١٤.

الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }(١)

أي مائلين عن كل جانب .. مائلين عن كل انحراف في التصور وفى التفكير وفى السلوك .. واقعنا الآن هناك مزيج .. حياتنا خليط من اليقظة والغفلة .. من الذكر والجحود لله .. من الطاعة والمعصية .

وتصورات المسلمين فيها تشويش .. ليست هذه التصورات هي التي يريدها الله لنا، ولا رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

حياتنا سقناها بعيدا عن منهج الله جل وعلا ، ومزاجنا تغير ، لم يعد مزاج المسلم هو مزاج النبي صلى الله عليه وسلم . ولا مزاج الصحابة .

من منا همه أن يحفظ القرآن ؟ من منا همه أن يصلى في الليل ركعتين أو أربع ؟ من منا يصيبه الحزن اذا فقد صلاة الجماعة ؟ نحن نحزن اذا ضاع منا أي شيء من حطام هذه الدنيا ، ولكن أمور الآخرة اذا مرت من بين أيدينا وضيعناها فما نشعر بالفقدان، ولا نشعر بالحاجة الى ذلك الذى ضاع منا ، فمزاجنا تغير ، أحوال قلوبنا تغيرت .

ذلك لأن الأنسان ينشغل بما تنشغل به جوارحه ووقته، فنحن حياتنا كلها تدور ، أنما تدورون في فلك لقمة العيش .

---

(١) سورة البينة _ الآية ٥ .

تساقون بسياق الشهوة ، وتملأ عقولكم بمشاهد الواقع المتعتم البعيد عن الله جل وعلا .

وتدورون في فلك لقمة العيش التي حجبت عن الناس بالنهب والسرقة عن أن تصل في يسر وأمان .

مشاغل وهموم ما بين الأرض والسماء .. ولكن هذه الهموم كيف المخرج منها ؟ وأحوال كثيرة يصعب على الأنسان التفكير في حلها . فما هو المخرج؟ جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا وفيها من الظلام. وفيها من الفتن .. وفيها من الكراهية.. ما يشتد عما نحن فيه الآن . فكيف استخلص النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وأصحابه من فتن هذه الدنيا ؟ وكيف غير وجه الدنيا لتستقيم مع أوامر الله جل وعلا ؟ ألأمر يحتاج الى جهد .. يحتاج الى تضحية .. يحتاج الى بصيرة والى عزم .

نحن نريد أن يعود الإسلام الى الحياة ، لأن عودة الإسلام الى الحياة أمان للناس في الدنيا وفى الآخرة ، رحمة وسعادة وطمأنينة وسكينة ، وبغير الإسلام لا يصبح في الحياة أمان .

فكيف يرجع الإسلام الينا ونرجع اليه ؟ ليس هناك من سبيل إلا سبيل النبي صلى الله عليه وسلم ، نحمل همَّ رسولنا .

الله أنزل القرآن على قلب حبيبه .. ماذا فعل الحبيب بالقرآن العظيم؟ قام بالقرآن في الليل وأطال القيام بين يدى الله عز وجل .

فليل النبي قيام طويل بين يدى الله عز وجل .. فما هو حالنا مع الله جل وعلا ؟ كيف يقضى المسلمين لياليهم ؟ ليالي غفلة .. ليالي سمر .. ليالي لهو .. ليالي لعب .. والحبيب صلى الله عليه وسلم يقول :" لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله . فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس يوم القيامة من الله القلب القاسي . ومثل الذاكر لله والغافل عن ذكر الله كمثل الحى والميت .

فليل النبي قيام طويل بين يدى الله عز وجل . ونهار النبي صلى الله عليه وسلم جهد في عرض هذا الدين على الناس ، يمر على القبائل ويعرض نفسه عليهم ويقول للناس : من يؤويني ؟ من يحميني حتى أبلغ رسالة ربى ؟ .

ومن استجاب لرسول الله فتكون له برسول الله صحبة يطيلون فيها المكث مع رسول الله يتعلمون منه القرآن والحكمة { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ**

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }(١)

أصحاب النبي حين استجابوا لله كانت حياتهم محاولة للتشبيه بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ليلهم قيام وذكر ، ونهارهم جهد ودعوة الى الله عز وجل ، فأين نهارنا من نهارهم ، وأين ليلنا من ليلهم ؟ المسلم ألآن يعيش في المسجد ساعة أو بضع ساعات، ثم يخرج في خارج المسجد فيجد حياة تمتلئ بقيم ومفاهيم بعيدة عن تلك القيم التي يعيشها في ساعاته في بيت الله عز وجل ، فيحدث اضطراب وتشتت .. ويكاد يحس بالتمزق والضياع .. فما هو المخرج؟ أن نصر على أن نحول هذا الدين الى واقع .

لأن الواقع الكافر الفاجر لا يغلبه فكر المؤمن ألمقبل على الله عز وجل .. الأفكار والأماني لا تغير واقع الناس .

وإن كانت أفكارا طاهرة نقية ، مؤمنة محقة ، فالواقع يحتاج الى واقع يواجهه، وواقع يقف أمامه ، فلا بد من أن نحول ديننا الى واقع .

أن نعيش هذا الدين، ولن نستطيع أن نعيش هذا الدين دفعة واحدة.

---

(١) سورة الجمعة _ الآية ٢.

نريد أن ندخل على الإسلام رويدا رويدا ، فنفرغ الأوقات لدين الله عز وجل ، ونتحرك مع هذا الدين ، لأيام قليلة ، على قدر الطاقة بترتيب ، كلنا عنده فراغ ، كلنا يملك وقتا لا يدري كيف يقضيه؟ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (١).

فنحن نريد أن نجمع الأوقات ألفارغة عند كل منا لنحولها الى طاقات من الجهد ، تتحول الى واقع عملي يقدم هذا الدين لنا وللناس .

تخرج الجماعات في المساجد – أفضل البيئات هي المسجد – قال صل الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:" إِنَّ بُيُوتِي فِي أَرْضِي المساجِدُ، وإِنَّ زُوَّارِي فيها عُمَّارُها، فطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثم زَارَنِي في بَيْتِي، فَحَقَّ عَلَى المزُورِ أنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ ".

فنحن نريد أن نحل ضيوفا على الله جل وعلا، وفى هذه الضيافة نفتح كلام الله لنقرأه .. نفتح هدى النبي صلى الله عليه وسلم فنتأدب به .. نعايش سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ونفرغ الأوقات لنملأها

---

(١) الإمام البُخاريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ فِي صحيحه (٦٤١٢).

بسنة النبي صلى الله عليه وسلم .. فتزداد بها أشواقنا إلى الآخرة .. ويصبح هذا الدين بين أيدينا واقعا يعاش نظرات ود ومحبة .. أمان وسلام .. طهر ونقاء .. ثم نزور المسلمين ونتألف قلوبهم .. حتى تزداد جموعنا في بيوت الله عز وجل .

فإذا ما نظر رب الأرض والسماء إلينا وقد عمرنا بيوته ، وأقبلنا على دينه ، وتعلمنا كتابه ، وتعلمنا سنة نبيه ، وانطلقنا في أرض الله عز وجل نصلح الألسنة بذكره وندل الناس عليه فان الله تبارك وتعالى له مع أهل الأيمان قدر وله مع أهل الأيمان سنة { **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** }(١) ولن يتدخل الله جل وعلا بين أهل الأيمان والكفر إلا اذا حمل أهل الأيمان أمانة نبيهم وقدموها للناس .. وعرضوا على الناس قضية الأيمان واقعا حيا .. وتحملوا الجهد والمشقة .. واستقامت سريرتهم.. واستقامت جوارحهم مع منهج الله جل وعلا .

وأصبح هذا الدين واقعا كل من أراد أن يراه رآه .. وكل من أراد أن يعيشه كانت عنده الفرصة لمعايشة هذا الدين .. وعندما يتميز أهل

---

(١) سورة غافر _ الآية ٥١.

الأيمان وأهل الكفر تأتى الفيصلة من الله جل وعلا { يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ }(١) فلا بد أن تكون البينة لازمة لجميع خلق الله .

لا بد أن يكون العابد عابدا على بينة ، ولا بد من أن يكون الفاجر فاجرا على بينة ، ثم بعد ذلك تكون الفيصلة من الله جل وعلا .

هل من عقول تبصر . ؟ هل من عقول تبصر ؟ يا شباب الإسلام: لا تعطلوا عقولكم.

وأنت تهدم دينك عندما تقف عاجزا أمام مطالبات هذا الدين .

هذا الدين يأمرك أن تقوم بالليل فهل قمت ؟ هذا الدين يأمرك أن تتعلم القرآن فهل تعلمت ؟ .

---

(١) سورة الأنفال _ الآيتان ٤١ ، ٤٢.

هذا الدين يأمرك أن تذكر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدير حياتك خلف هذه السنة المطهرة فهل تعلمت سنة نبيك ؟ .

هذا الدين يأمرك أن تتحول الى خلية حية تتحرك في أرض الله ولا يملأها إلا غيرة على هذا الدين ورحمة بالناس.

نريد أن نأخذ بزمام الناس جميعا الى الله تبارك وتعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** }(١) فهل أنت رحمة للناس ولبيتك ولأهلك ولعشيرتك؟ أم أنك شغلت بنفسك عن دينك وعن ربك وعن هدى نبيك صلى الله عليه وسلم ؟ فاذا ما تحركت في قلبك رغبة الى الأقبال على الله تبارك وتعالى ومعرفة هذا الدين . فان البيئة من حولك تشدك بخيوط الكفر والألحاد والمعصية حتى تخفيك عن ساحة ربك ومولاك، فأنت تحتاج الى بيئة طيبة لتستطيع أن تتنفس الإسلام، ولا تتصور أنك قادر بنفسك ووحدك أن تتحرك للدين وللإسلام، وتصبح قادرا على القيام بأوامر الله عز وجل، لن تستطيع ذلك وحدك ، فعنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي

(١) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧.

قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ " رواه أحمد أبو داود والنسائي(١).

هذا كلام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، نريد أن نتحرك لهذا الدين .. والحركة لهذا الدين أذن الله بها .. ففتحت أبوابها في مشارق الأرض ومغاربها .

فكن واحدا من كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تجبن ولا تبخل ولا تتخلف ، العمر يضيع ، والأيام تنقرض ، وفجأة ستجد نفسك بين يدى الله جل وعلا .

فلا تتخلف عن دينك ، وافتح عقلك ، وفرغ وقتك لهذ ا الدين ، فرغ وقتك لتتعلم، وطن نفسك في الطاعة .

عمروا المساجد، عمروها بالذكر والطاعة، وبالعلم والدعوة، وبالأقبال على الله جل وعلا، ليرفع الكرب عن هذه الأمة، وعن أمم كثيرة في الأرض شقيت بمدنيتها، وتعست بحضارتها، وهى في انتظار أتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مشكاة المصابيح – كتاب الصلاة_ باب الجماعة وفضلها١/٣٣٥

يحملون إليهم مشاعر الخير ويدلونهم الطريق الى الله جل وعلا .

أعظم النعم نعمة الإسلام وطريقة استبقاء النعمة عندنا في ديننا أن تنفق من هذه النعم{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }(١) إظهار النعمة والحديث عنها ، فمن أوتى مالا فعليه أن يظهر هذا المال بالزكاة .. ومن أوتى الإسلام فعليه أن يزكى عن إسلامه بالدعوة الى الله .. أطلق لسانك .. أنعم الله عليك بنعمة الإسلام .. لماذا تبخل بهذه النعمة على الحيارى والمعذبين ؟ آلام الأرض كلها شفاؤها في لا إله الا الله محمد رسول الله .. عليك أن تطلق لسانك بدعوة الناس الى الله .. وتشغل نفسك بطاعة ربك.. أطلقوا الألسنة واقتحموا على الناس غفلاتهم .. وأظهروا سنة حبيبكم إن كنتم تحبونه .

وانظروا في سجل حياتكم ما كان موافقا لله ولرسوله فخذوه وتمسكوا به، وما كان مغايرا لأوامر الله وأوامر حبيبه صلى الله عليه وسلم، فاضربوا به عرض الحائط .

---

(١) سورة الضحى _ الآية ١١ .

واعلموا أن: { وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }(١) أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

* * * * *

(١) سورة الشورى _ الآية ٣٦.

البيان الرابع

التوحيد

قال تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}(١).

وقال تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}(٢)

المسألة ابتدأت بالكلام.. فأنت تدخل في الاسلام بكلمة: (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ محمد رسول الله).

ولكن المسألة لا تتوقف عند هذه الكلمة.. وإلا فلو كانت العرب تدرى أن تكاليف الإسلام لا يعدوا أن يكون مجرد كلمة والله لنطق بها

---

(١) سورة فصلت _ الآيتان ٣٠، ٣١ .

(٢) سورة الأحقاف _ الآية ٣١.

أبو جهل. ولكن العرب كانوا يفهمون معنى كلمة التوحيد (لا إِلَهَ إِلا اللَّه) : نفى كل ما يعلق بالقلب.. واثبات الربوبية والعبودية لله وحده.

وفى هذا ما يتبعه من تكاليف ينبغي أن يحملها العبد بكاملها.

وشهادة أن(لا إِلَهَ إِلا اللَّه) كمعلومات نظريه شيء لا يجهله أحد .

ولكن عند الموت لن تكون القضية قضية معلومات. . ولكن القضية قضية توحيد في القلب وعمل بالجوارح .

فإذا ما كان القلب معرضا عن الله بالغفلة.. والجوارح معرضة عن أوامر الله بالمعصية.. فاذا ما جاء وقت الامتحان لن تجد الإجابة على لسانك وأول سؤال في القبر من ربك ؟ الله .. الله.

الإلـه: مايلهينـا عن غيره وتألهـه القلـوب وتحبـه وتعظمـه. الله: المـألوه . المعبود. . المأنوس به الذي تأنس به وتكون مولها بحبه.. المتحير فيه. المتحير في عظمته وجلاله وكماله.. فكل ما تتخيل ويخطر ببالك فالله سبحانه وتعالى أكبر وأعظم وأكرم وأجل من ذلك، قال تعالى{ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**}(١).

---

(١) سورة طه _ الآية ٥.

ما معنى استوى؟ أي علا وارتفع. كيف ارتفع؟ لا ندرى .. فتقف عند الأثبات فقط وتظهر عجزك عن محاولة الإدراك لأنك مخلوق.. كيف يحيط المخلوق بالخالق؟ كيف يحيط الجزء بالكل . الله: الإله الحق المستحق للعبادة وكل معبود سواه باطل.. فلا نعبد إلا الله.. ولا نخاف ولا نرجوا إلا الله.

فالله سبحانه وتعالى منه الخوف وله الرجاء، وعليه التوكل ، وبه الثقة، فلا صلاة ولا صيام ولا حج ولا ذبح ولا نذر ولا دعاء ولا استغاثة. ولا استعانة ولا استكانة إلا لله.

ومن يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى فهو مشرك بالله (اتخذه وكيلا) أي أفرده بالعبادة.. أفرده بالتوحيد.. أفرده بالتوكل. أفرده بالاستعانة.. فلا إله غيره ولا رب سواه.. والأمر كله بيد الله وحده. لا إله إلا الله: أي لا مستحق للتوجه والتضرع والتألـه والتذلل والسؤال والدعاء في جميع الشدائد والمصائب أحد غير الله تعالى.

لا إِلَـهَ إِلا اللَّـه: أى لا معبود بحق في العوالم العلوية والسفلية إلا الله وحده. . فلا يستحق أن يطاع.. أن يحب .. أن يخشى بأسه.. أن ترجى

رحمته. . أن يتوجه إليه بالدعاء والسؤال إلا الله وحده.. لأنه هو وحده الذى يقضى حاجات جميع الخلق.

تحقيق العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى: وهى كامل الطاعة وكامل المحبة وكامل المذلة لله عز وجل.

فهو لذلك يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.. رب كل شىء.. ومدبر كل أمر.. فهو الجدير بأن يعبد ولا يجحد.. وأن يطاع فلا يعصى.. وأن يشكر فلا يكفر،{ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}(١).

فتنفى الألوهية عن ما سوى الله وتثبتها لله وحده.. فالله سبحانه وتعالى هو وحده الإله الحق المستحق للعبادة دون ما سواه.

فعقيدتنا هي الايمان بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، ونؤمن بربوبية الله تعالى بأنه الرب الخالق الملك المدبر لجميع الأمور.

فالله تبارك وتعالى تفرد بالقدرة المطلقة على الإحياء والإماتة، وإنزال الغيث وتصريف الرياح، والخلق والرزق، يعطى هذا ويمنع هذا، يعز هذا

---

(١) سورة الإنعام _ الآية ١٠٢.

ويذل هذا، يرفع هذا ويضع هذا، يحي هذا ويميت هذا ،{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }(١).

فالأشياء كلها مرهون بقاؤها بمشيئة الله تعالى .

لا بد أن تعلم أن الأمر كله لله .. هو الخالق وحده .. وهو الرازق وحده .. وهو صاحب الأمر والنهى وحده .. لا يملك لك أحد في هذا الوجود ضرا ولا نفعا .. املأوا القلوب بعز لا اله الا الله.. فالخالق هو الله .. والرازق هو الله .. والمحي هو الله .. والمميت هو الله .. فآمنوا بالله وحده .. ولا تجعلوا لله أندادا .. من اعتز بشيء دون الله .. جعل الله هذا الشئ سبب ذله واهانته ..لا تعتز الا بالله .. ولا تركن إلا إلى الله .. ولا تثق إلا في الله .. ولا تتوكل الا على الله .. ولا تعتمد إلا على الله .. ولا تلجأ إلا الى الله .. تبرأ من حولك وطولك .. وعلمك وقوتك

(١) سورة آل عمران _ الآيتان ٢٦، ٢٧.

ومددك وصحتك ومنصبك ومالك ولا تعتمد إلا على الله .. تسعد في دنياك وأخراك.. والسعيد من عرف أن صاحب الأمر هو الله وحده.. والسعيد من أخذ أمر الله بجد والشقي من تهاون في أمر الله عز وجل .

وأن أوامر الله واجبة التطبيق والتنفيذ الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،{ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**}(١). هذا إلهنا .. هذا ربنا الذى نؤمن به ونوحده.. صاحب العز وصاحب الكبرياء وصاحب الملك كله.. لا إله غيره ولا رب سواه.. كل شيء بأمر الله جل وعلا .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ: (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ**

(١) سورة الأعراف _ الآية ٥٤.

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) (٢) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(٢) يقول ابن كثير: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ وَإِرْشَادٌ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ الْأُمَّةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ حَوَّلَ النُّبُوَّةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَكِّيِّ الْأُمِّيِّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَرَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مَحَاسِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصَ لَمْ يُعْطِهَا نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ ، فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَشَرِيعَتِهِ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى الْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ ، وَكَشْفِهِ عَنْ حَقَائِقِ الْآخِرَةِ وَنَشْرِ أُمَّتِهِ فِي الْآفَاقِ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَشَرْعِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ وَالشَّرَائِعِ ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ [تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] أَيْ : أَنْتَ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِكَ ، الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ ، كَمَا رَدَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ يَتَحَكَّمُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ، حَيْثُ قَالَ : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزُّخْرُفِ : ٣١] .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ [نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]) الْآيَةَ [الزُّخْرُفِ : ٣٢] أَيْ : نَحْنُ نَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِنَا كَمَا نُرِيدُ ، بِلَا مُمَانِعٍ وَلَا مُدَافِعٍ ، وَلَنَا الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ فِي

فلا نلهج الا بالثناء عليه.. ولا نخاف إلا منه. ولا تمتلئ قلوبنا بالرجاء إلا حين تلهج الألسنة بذكره.

واذا امتلأت قلوب أهل الايمان بالتوحيد .. واذا امتلأت قلوب أهل الايمان بمعرفة قدر الله عز وجل فإن ثمرة الإيمان تظهر في الواقع وفى السلوك.. أنت تزعم أنك مؤمن.. ما هو دليلك؟ من أي شيء تخاف؟ وفى أي شيء ترجوا؟ من تتبع في منهج حياتك في الليل والنهار؟ ما هو برنامج حياتك؟ هل هناك مطابقة بين ما أنت عليه وما يأمرك به ربك ونبيك؟ اذا كنت مخالفا لله في كل صغيرة وكبيرة في حياتك فأنت ما عرفت الله .. ولا عرفت رسوله.

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ،{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }(١). قال: من رأفته بهم حذرهم نفسه(٢).

ذَلِكَ ، وَهَكَذَا نُعْطِي النُّبُوَّةَ لِمَنْ نُرِيدُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الْأَنْعَامِ : ١٢٤] .

(١) سورة آل عمران _ الآية ٣٠.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

وهذا الدين ليس ايمانا مجردا فقط .. وليس عبادة بينك وبين الله فقط.. وإنما هذا الدين أنزله الله لصلاح أحوال الدنيا والآخرة.. صلاح لما بينك وبين نفسك.. صلاح لما بينك وبين أهلك.. صلاح لما بينك وبين ربك. يقول الانسان أنا مؤمن.. والسلوك بعيد عن الايمان.. والحياة بعيدة عن الايمان.. مهلا.

فنحن نريد أن تتغير الحياة كلها.. لا بالعنف ولا بالشدة.. ولكن بالمنطق .. والاقتناع والدعوة الى الله تبارك وتعالى.. والناس يحبون الإحسان.. وجبلت النفوس على حب من أحسن إليها.. فاجعل من نفسك يدا محسنة تطرق أبواب القلوب لتقبل على الله تبارك وتعالى.. قدموا الإحسان. وقدموا المودة.

ونريد من الشاب المسلم الناس لا ترى عبادتك.. ولا ترى إيمانك.. وإنما يرون منك سلوكك .. ومعاملتك.. ومعاشرتك.. فلو أنك كنت مؤمنا حقا لظهر إيمانك في سلوكك الذى يراه الناس منك.. مودة ورحمة ورفقا

ولينا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ" (١).

وأول ما ينبغي ما يكون. أن تكون هذه الرحمة ممتدة في القلوب.

ينبغي أن تكون رحمة لوالديك ينبغي أن تكون رحمة لأمك.. ينبغي أن تكون رحمة لأخوتك.. والرحمة هي أن تدلهم على الله تبارك وتعالى.

يا شباب الاسلام هذا الدين لا يفهم بغير المعايشة.. والهداية لا تفتح أبوابها من السماء بغير جهد.. وبغير تضحية.. فإذا كنا نكف أيدينا عن بذل التضحية لدين الله عز وجل .. ولا نقدم من أنفسنا ومن أموالنا جهدا نجرى به هداية الله تعالى لنا فأبواب هذا الدين .. وأسرار هذا الدين.. والغيب المكنون خلف هذا الدين وكنوزه.. سيظل محجوبا عنكم حتى تعيشوا هذا الدين معايشة كاملة.. تحيوا به الليل قياما لله.. وذكرا لله.. وتحيوا به النهار دعوة للناس الى الله جل وعلا.. وتصبرون به أنفسكم حتى تتعلمون القرآن.. وتتعلموا آيات الله.. وفرغوا أوقاتكم.. فهذا دين

(١) الفوائد المنتقاة للحربي » يأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة(٧١)، المعجم الصغير للطبراني (٢٦٥)، المعجم الأوسط للطبراني(٣٠٧٤)، المستدرك على الصحيحين (٩٨) ، دلائل النبوة للبيهقي(٨٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧٣٣)، أمثال الحديث للرامهرمزي (٧١).

عجيب سيعز الله فيه كل من تمسك بحبله.. وكل من قدم لله شيئا فهو عند الله مكتوب ومدخر.. والاسلام عدل.. ليس أحلى من الاسلام شكلا.. وليس أحلى من الاسلام كلاما، وليس أحلى من الاسلام فكرا. وليس أحلى من الاسلام معايشة وسلوكا ومعاشرة.

*****

البيان الخامس

التحريض على قيام الليل

يـا أهـل الإسـلام والإيمـان، ديـنكم ديـن العلـم، وديـن الفهـم، وديـن البصيرة ، فتعلموا واقرأوا كلام ربكم جل وعلا ، وأطيلوا الوقوف بين يدى رسول الله تتعلموا سنته واستهدوا بهديه، { قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَى مَـا يَقُولُـونَ وَاهْجُـرْهُمْ هَجْـرًا جَمِـيلًا * وَذَرْنِـي وَالْمُكَـذِّبِينَ أُولِـي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا }(١).

لا ينبغـي لمـن أمـر بـالبلاغ عـن الله أن ينـام.. ولا ينبغـي لمـن حمـل أمانة الدعوة الى الله جل وعلا أن ينام .

---

(١) سورة المزمل _ الآيات من ٢ : ١١.

قم في الليل فبينك وبين الله حديث.. قم في الليل فبينك وبين الله مناجاة.. قم في الليل ففي الليل لأهله ولأهل مودته عطاء لا يعلمه غيره .

ولن تفهم حقائق القرآن ولا أسراره الا اذا قمت به بين يدى الله تبارك وتعالى . وأعداء دينكم يفهمون ذلك . وحولوا لياليكم الى غفلة طويلة حتى لا يكون بينكم وبين الله جل وعلا مصالحة .

وحتى تكون علاقتكم بهذا الدين علاقة واهية ورسوم .. ليست علاقة حقيقة ومعايشة.

ولن تفهموا شيئا عن هذا الدين في غير المعايشة الكاملة لآياته، ولسنن نبيه صلى الله عليه وسلم .

مازلنا ضيوفا على الإسلام .. ما دخلنا على هذا الدين ساحته . ماذا تفعلون يا شباب الإسلام في لياليكم ؟ تخطيط رهيب لاحتواء الليل والنهار في الغفلات .

وفى استنفار المعاناة من السماء .. وفى حجبكم عن الله .. وعن دينكم .. وعن كتابكم .. وعن رسولكم .. فأين عقولكم ؟ أسلمتم أنفسكم الى طريق ليست له نهاية الا على أبواب جهنم . أمسكوا زمام الأيام والليالي وقودوها الى الله جل وعلا . وقد تعلمنا من مشايخنا ألصالحين

أن الذى يريد للإسلام أن يقوم فلابد عليه من قيام الليل . فقيام الليل مجال لبذل الجهد تستفرغ فيه كل الطاقات .. وستثمر البركة والخير والنور والهدى.

يا شباب الإسلام: أظهروا فتوتكم في الليل مع الله جل وعلا .. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ ، كُتِبَا جَمِيعًا مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ. " . وقيام الليل يعطيك حصانة ضد المعصية . قيام الليل يزيل الذنوب والسيئات من صحائفك . قيام الليل يعطيك قوة في بدنك ، فعَنْ بِلَالٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْهَاةٌ عَنْ الْإِثْمِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنْ الْجَسَدِ(١) .

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ بِلَالٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَا يَصِحُّ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ قَالَ سَمِعْت مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَعِيلَ يَقُولُ مُحَمَّدٌ الْقُرَشِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الشَّامِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَبِي قَيْسٍ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ وَقَدْ تُرِكَ حَدِيثُهُ وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ

ما هو حال لياليا ؟ ليالي غفلة، ليالي طويلة ليس فيها إلا السمر واللهو واللعب والغناء .

والله هذه ليالي يبكى فيها رسول الله.. ويضحك فيها الشيطان .. لياليا أبكت رسول الله.. والنساء والأطفال والأولاد كلهم حول أجهزة الإفساد يتلقون الأذى .. ويتعلمون ما يغضب الله جل وعلا .. والرجال لا إرادة لهم .. والنساء لا عقول لهم .. لا يصطلح القلب مع العقل مع الجوارح مع الروح إلا في الليل .. ولا تكون هناك مصادقة بين ما ينطق به لسانك .. وما يدور في عقلك وما يتحرك في خواطرك.. لا تكون هناك موافقة إلا في الليل.

* * * * *

أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِدْرِيسَ عَنْ بِلَالٍ.

البيان السادس

الله جل وعلا جعل أمة حبيبه أمة العطاء .. أعطانا القرآن العظيم .

كلام الله جل وعلا الذى لا يشوبه التحريف ولا التبديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأكرمنا بأن جعلنا من أتباع خير نبي صلوات الله وسلامه عليه.

هذا القرآن نزل للتطهير والتعليم والتعريف، قال تعالى:{ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** }(١) ، وقال جل وعلا: { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** }(٢).

ولما نزل القرآن العظيم لزمت الحجة جميع خلقه وجميع عباده .

وبهذا القرآن تفتح العقول التي تريد أن تستجيب لأمر الله .

تفتح العقول التي تريد أن تستهدى الى نهج الله جل وعلا .

---

(١) سورة الشورى _ الآية ٣٦.

(٢) سورة الجمعة _ الآية ٢.

أما من استأثر بالعمى وأراد الضلالة فان عقابه عند الله جل وعلا يعلمه الأدب أمام الله تبارك وتعالى جبار السماوات والأرض.

تمسكوا بهذا الدين واعتصموا به، واقرأوا القرآن.

القرآن يقرأ بثلاث كيفيات .. فالله عز وجل أنزل القرآن على قلب نبيه ليقرأ بثلاثة طرق .. وعلى ثلاثة أحوال .. يقرأ القرآن مرة للعبادة {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا}(١).. ويقرأ القرآن مرة للعلم { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(١) سورة المزمل _ الآيات من ١ : ١١.

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }(١) ومرة للدعوة إلى الله تبارك وتعالى{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(٢) تنذر بماذا ؟ قال تعالى: { كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}(٣) .

والله سبحانه وتعالى عاب على من يكتمون هذا الدين ويكتمون آياته { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}(٤).

ولا يمكن أن تبلغ بهذا الدين، ولا بهذا القرآن إلا اذا عبدت الله به .. وتعلمته وعلمته.. وإلا إذا كان الأمر على هذا التقدير فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحب الخلق الى الله جل وعلا كان يكفيه أن

(١) سورة الجمعة _ الآية ٢.
(٢) سورة المدثر _ الآيات من ١ : ٣.
(٣) سورة الأعراف_ الآية ٢.
(٤) سورة البقرة_ الآية ١٥٩.

يعلمه الله القرآن ثم يبلغه رأسا للناس .. ولكن الله عز وجل أمره أن يقوم بهذا القرآن قبل أن يقيم الناس به.

لذلك تعلمنا من الصالحين أن من أراد لهذا الدين أن يقوم. وأن يكون سببا فى قيام هذا الدين فعليه أن يقوم بهذا القرآن بين يدى الله في الليل، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ " ." (١).

هذه القيم غابت عن حياة المسلمين .. ورصدت كل امكانيات أعداء هذا الدين لكى يتحول المسلمين بكل امكانياتهم الى نوع من الشلل.. شلل في العبادة.. وشلل في الفهم.. وشلل حتى في الأمور الاقتصادية .

أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليهم ذكرهم الله جل وعلا ورضى عنهم ، ونزلت الملائكة بالسلام من الله على أصحاب النبي، ورأوا الملائكة ورأوا نصرة الله ، فازدادوا يقينا بالله جل وعلا ، لأن

(١) شعب الإيمان للبيهقي » الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ...(٩٨٣٦)، المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْعَيْنِ» مَنِ اسْمُهُ : عَبْدُ اللَّهِ (٤٤١٠).

أشواقهم كانت إلى الآخرة .ذلك لأنهم أنفقوا حياتهم من أجل نصرة دين الله جل وعلا ، كانوا إما مهاجرين لإعلاء كلمة الله .. وإما أنصارا لدين الله جل وعلا.. فسلمت عليهم الملائكة.. وسلم عليهم الله تبارك وتعالى .. وأحاطتهم بهم نصرة الله من كل جانب حين أتم الله النعمة على أمة حبيبه.

أما نحن ما هو حالنا ؟ نسينا ربنا في ليلنا وفى نهارنا.. وتعلقت أشواقنا بحطام هذه الدنيا.. وظننا أن عزنا في ذلنا.. ظننا العزة في هذه الدنيا.. ظننا العزة في الأموال .. ظننا العزة في الجاه.. ظننا العزة في مخالفة أوامر الله .. ومتابعة اليهود والنصارى ووالله الذى لا إله غيره لا عز لأمة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بأن تحمل هذا الدين كما حمله أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه .

يا أمة الحبيب صلوات الله وسلامه عليه عزكم في طاعة الله .. عزكم في التمسك بأوامر الله جل وعلا .. غناكم في الصلاة .. عزكم في طاعة الله وفى ذكر الله .. وفى الحركة لدين الله .. مهابتكم في قلوب العباد بأن تستحضروا الخوف من ذي الجلال والإكرام .

لن يخاف الناس منكم ولن تفتح أبواب الأرزاق في السماء والأرض بمناهج اليهود، ولا بمناهج النصارى، ولا بمناهج المشركين والملحدين، إنما خزائن كل شيء بيد الله جل وعلا .

وعز أمة النبي في أمر واحد ففي طاعة الله تبارك وتعالى .. فى ذكر الله .. ففي الطهارة .. وفى تعلم أوامر الله جل وعلا .

فإذا عرفنا ذلك فلنا عز الدنيا والآخرة .. وان جهلنا ذلك، :" وعزتي وجلالي، إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطنَّ عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً ".

* * * * *

البيان السابع

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللَّهُ ضَيْعَتَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أُمُورَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ إِلا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ "(١).

إنها تجارة .. إما أن تتاجر مع الله تبارك وتعالى في طاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.. وإما أن تتاجر مع الشيطان في المعصية والهوى .. والتجارة مع الله رابحة .. والتجارة مع الشيطان خاسرة .. {**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن**

(١) المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْمِيمِ» مَنِ اسْمُهُ : مُحَمَّدٌ (٥١٦٧)، الزهد الكبير للبيهقي (٨١٨)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٨٠١).

دَعَـوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِـي فَـلَا تَلُومُـونِي وَلُومُـوا أَنفُسَـكُم مَّـا أَنَـا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ }(١) ، والحياة ستنتهى ، وان الحياة كما قال أهل العربية وبلغائها: ان الحياة اذا حلت أوحلت .. واذا جلت أوجلت .. واذا كست أوكست .. واذا أينعت نعت .. وكم من قبور تبنى وما تبنا .. وكم من مريض عدنا وما عدنا .. وكم من ملك رفعت له العلامات .. فلما علا مات.

أنتم جميعا على موعد مع الله جل وعلا .. والقرآن بين أيديكم .. وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حاضرة .

فطوبى لعبد أخذ الزاد الى الله جل وعلا .. وبحثت في كتاب الله جل وعلا حتى أجد السكينة والراحة .. فليست هناك راحة إلا أن نرجع الى الله .. والى هدى رسوله .. قال الحق جل وعلا{ كُـلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَـةُ الْمَـوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّـوْنَ أُجُورَكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فَمَـن زُحْـزِحَ عَـنِ النَّـارِ

(١) سورة إبراهيم _ الآية ٢٢ .

وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }(١)

وحديث الموت ثقيل الوطأة على القلوب وعلى العقول .. لأن الحديث عن الموت حديث عن السفر الى الله .. فنحن في سفر. . والسعيد من سافر الى الله مختارا قبل أن يسافر اليه مجبرا .

أيقظوا هممكم وعقولكم .. فما جئنا الى هذه الدنيا عبثا .. وما جئنا سدى .

وما خلق الله نظام الكون وأحكمه لنلهو فيه ولنلعب .. وإنما خلقنا لنكون عبيدا لصاحب الكبرياء والعظمة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }(٢) ، وقال تعالى{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٨٥.

(٢) سورة الذاريات _ الآية ٥٦.

الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }(١) مانحن فيه غرور.. دنيانا سراب.. نعيمها قليل .. وزمانها ينتهى .. ونحن الى لقاء الله جل وعلا نجد السير .

ماذا أعددتم للوقوف بين يدى الله ؟ ان لله أوامر .. ان لله حدود .. إن لله محارم .. ان لله آيات .. هلا تدبرنا في آيات الله جل وعلا . أين تذهبون ؟ يا صاحب المال أين ستذهب ؟. يا صاحب السلطان ما هي منتهى خطواتك؟ يا صاحب الصحة والجاه والعافية الى أين ستنتهى رحلتك؟ إن خطواتكم جميعا تنتهى على باب الحى القيوم الذى لا يغفل ولا ينام{ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ }(٢).

والحياة قصيرة .. وضمة القبر شديدة .. وما منكم من أحد إلا وله مع ملك الموت موعد .. فماذا أنت قائل لربك اذا ضمك القبر ؟ الموت قضية حاضرة غائبة .. حاضرة بوقتها .. غائبة بفكرها وموعظتها .. الموت هذا المجهول المخيف نتكلم ونسمع عنه ليصبح شيئا قريبا من نفوسنا، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " زُرِ الْقُبُورَ تَذْكُرْ بِهَا الآخِرَةَ ، وَاغْسِلِ الْمَوْتَى ، فَإِنَّ مُعَالَجَةَ جَسَدٍ

(١) سورة الحديد _ الآية ٢٠.
(٢) سورة السجد _ الآية ١١، سورة الجاثية_ الآية ١٥.

خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ ، وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَحْزُنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَتَعَرَّضُ كُلَّ خَيْرٍ " (١).

نظرك نعمة تحتاج الى شكر دائم لله تبارك وتعالى .. عقلك نعمة .. هل فكرت ما حالك اذا مافقدت عقلك ؟.

أنفاسك وهذه الحياة فرصة ونعمة لتتوب ولتستغفر ولتحسن ولتصلى ولأن تقرأ القرآن .

قد يأتيك الموت فجأة فتصبح جسدا بلا روح. . وما أعظم أن تعالج جسدا خاويا لا روح فيه.

ما أعظم هذه العظة.. السمع موجود.. والبصر موجود.. والأيدي موجودة.. والأنفاس ولا حركة ؟ أين ذهبت الأنفاس؟ وأين ذهبت الحركة؟ وما الذى أقعدك يا ابن آدم؟ ومن أين كانت لك حركتك؟ ومن أين كان لك نور عينيك وسمعك؟{ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** }(٢).

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي » الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ... » فَصْلٌ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ (٨٦٨٧)،المستدرك على الصحيحين(١٣٢٧).

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٩١.

والموت قادم بكل ما فيه من هول.. الموت حق .. وكفى بالموت واعظا.. وذكر الموت أدب .. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ (١) وقال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ ، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَزَادَ :" فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ " كَذَا فِي التَّرْغِيبِ لِلْمُنْذِرِيِّ . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ ، وَفِي الْبَابِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، يَعْنِي الْمَوْتَ فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ ، وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا جَزَلَهُ ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَفِي الْبَابِ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالْبَيْهَقِيُّ ..

وذكر الموت حال النعمة يحجبك عن المعصية بنعم الله.. وذكر الموت في حال البلية يهون عليك أي شيء.. لأن الموت هو نهاية لهذه

(١) سنن الترمذي » كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب ما جاء في ذكر الموت(٢٣٠٧).

الرحلة بكل ما فيها .. هذه دار البلاء.. والكل فيها ممتحن .. نحن ممتحنون بأوامر الله جل وعلا .. الأمر والنهى امتحان وأمانة .. وإذا ظهر أمر الله ونهيه على ألسنة الدعاة إليه فالناس بين مصدق ومكذب .. فالمصدق يعرف أن له ربا يأخذ بالذنب، ويغفر الذنب فيستقيم على منهج الله جل وعلا .. والمكذب يظن أنه لا حساب ولا عقاب ويظل فاجرا في غيه .

وأفضل الايمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت . الله معك الآن . والله معك في عملك .. والله معك في بيتك .. الله معك حيثما كنت .. فاستحيوا من الله حق الحياء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ : " لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ،

وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " (١).

الدنيا بلاء .. ونحن في هذه الحياة ممتحنون .

يا عباد الله .. كل يوم يمر علينا يقربنا من القبر ومن لقاء الله .. أيامنا تمضى.. وأيامنا تذهب .. ونحن الى لقاء الله نتوجه ونسير .. فأحسنوا فيما بينكم وبين ربكم .. النَّادمُ ينتظرُ من اللهِ الرَّحمةَ ، والمعجَبُ ينتظرُ المقتَ ، واعلَموا عبادَ اللهِ أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدُم على عملِه ، ولا يخرُجُ من الدُّنيا حتَّى يرَى حُسنَ عملِه، وسوءَ عملِه، وإنَّما الأعمالُ بخواتيمِها، واللَّيلُ والنَّهارُ مطيَّتان، فأحسِنوا السَّيرَ عليها إلى الآخرةِ، واحذروا التَّسويفَ، فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً ولا يغترنَّ أحدُكم بحلمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الجنَّةَ والنَّارَ أقربُ إلى أحدِكم من شِراكِ نعلِه، ثمَّ قرأ

(١) سنن الترمذي رقم الحديث: ٢٣٩٥، مسند أحمد بن حنبل(٣٥٤٢)، المستدرك على الصحيحين (٧٩٨٩)، مسند ابن أبي شيبة (٣٤٣)، المعجم الصغير للطبراني (٤٩٥)، المعجم الكبير للطبراني (١٠١٤١) ، شعب الإيمان للبيهقي (٧٢١٤)، شرح السنة (٣٩٤٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٣٦٣٠).

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. (١) .

واعلموا أن صلاح أحوالنا في هذه الدنيا رهن بصلاح أعمالنا بيننا وبين الله جل وعلا . وثقل الموازين يوم القيامة باتباع الحق ولوكان ثقيلا على النفوس . وخفة الموازين انما ستكون باتباع الهوى واتباع الباطل ولوكان سهلا على النفوس .. فعن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : " إِنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ ، إِنْ أَنْتَ قَبِلْتَهَا عَنِّي : إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا بِاللَّيْلِ لا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا بِالنَّهَارِ لا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقْبَلُ النَّافِلَةَ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ، أَلَمْ تَرَ إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فِي الآخِرَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا ، وَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لا يُوضَعُ فِيهِ إِلا حَقٌّ أَنْ يَثْقُلَ ، أَلَمْ تَرَ إِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فِي الآخِرَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَفَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لا يُوضَعُ فِيهِ

(١) الترغيب والترهيب.

إِلا بَاطِلٌ أَنْ يَخِفَّ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجَاءِ عِنْدَ آيَةِ الشِّدَّةِ ، وَآيَةَ الشِّدَّةِ عِنْدَ آيَةِ الرَّجَاءِ ، لِكَيْ يَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، لا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، لا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرَ الْحَقِّ ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي هَذِهِ فَلا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ " (١).

يا رجال الإسلام ويا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدين دين الرجولة ودين الفتوة .. هذا الدين دين ارتضاه رب الأرض والسماء لنفسه .. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ لِي جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلامُ : قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي ، وَلا يُصْلِحُهُ إِلا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ. (٢).

---

(١) حياة الصحابة .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي » الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ...(١٠١٢٨) المعجم الأوسط للطبراني(٩١٥٣)، مكارم الأخلاق للخرائطي(٣٥ ، ٥٣٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر» حرف الميم» حرف الميم في أسماء آباء المحمدين(٥٩١٩٠).

فوطنوا أنفسكم على بذل الجهد لأحياء كلمة الله في الأرض.. فلن يعود الإسلام الى حياتنا من غير جهد .. بالكسل والنوم والشهوة .

وإنما عودة الإسلام الى الحياة بأن نتحرك لدين الله في الأرض . نحمل لواء الدعوة ونتحمل تكاليفها وأعبائها ونكون اما مهاجرين لدين الله .. وإما أنصارا لدين الله .. لابد أن نفرغ أوقاتنا لديننا .. فرغوا الأوقات .. وتحركوا لدين الله في المشارق والمغارب .. واعلموا أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .. فرغوا الأوقات وتحركوا للدين.. وانتشروا في أرض الله .. وقولوا للناس كما قال نبيكم : يا أيها الناس . قولوا لا إله الا الله تفلحوا. لابد من أن نتحرك لهذا الدين حتى نرى جوهره.. ونرى ما عند الله من كرامة لأهل الأيمان ولأهل التوحيد وهذا الدين كتب الله له الغلبة .. وكتب له الكرامة .. وكتب له السيادة .. وكتب لأتباعه العلو الى يوم القيامة .. كونوا أنصار الله .. وأنصار دينه .. كونوا عبادا لله وحده.. كونوا أتباعا لأحباب نبيه.. واستقيموا على أمر هذا الدين. . فالرياح قادمة .. رياح الحق قادمة .. رياح الهداية قادمة .. بشرة الله قادمة .. هذا الدين ستعلوا راياته حتى تظلل الدنيا كلها .. وطوبى لمن

أقبل على الله .. والويل كل الويل لمن اعترض ركب التوحيد.. ولمن نصر غير جند الله جل وعلا .

نسأل الله جل وعلا أن يقبلنا عنده .. وأن يكتب لهذه الأمة براءة من النفاق .. وبراءة من النار .. اللهم هيء لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك ، يأمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر، اللهم حبب إلينا الايمان وزينه في قلوبنا .. وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان .. واجعلنا من الراشدين.

* * * * *

البيان الثامن

نحن نستحى من إظهار الإسلام .. نستحى من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظن أن العزة في غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }(١) .

فالله تبارك وتعالى قال: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }(٢) وعد الله لا يتخلف.. حق على الله أن ينصر أهل الايمان .. فاذا رأى الناس أنهم قد هزموا وأذلوا فمعنى ذلك أنهم لم يستكملوا شرائط الإيمان، لأن وعد الله صادق.

قال الله تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }(٣) فاذا نظرنا في أحوال الأمة فوجدناها شر أمة.. وأذل أمة.. فمعنى ذلك أن هذه الأمة

---

(١) سورة المنافقون _ الآية ٨.
(٢) سورة الروم _ الآية ٤٧.
(٣) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

ليست خير أمة لأنها ما أخذت موعودها من الله تبارك وتعالى .. لأنها قصرت ففي تنفيذ أوامر الله المطلوبة منها .. لأننا لو أدينا ما طلب منا لرزقنا ما وعدنا الله به{ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }(١) ، لا قبل لأحد بحرب الله تبارك وتعالى.

الله نصر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لاستقامتهم مع قلة عددهم وقلة عدتهم،عدة قليلة بمقاييس الأرض.. أعزة بمقاييس الله جل وعلا .

ولكن في غزوة أحد هزم المسلمون وقتل سبعين من أصحاب الرسول، وقائد الجيش هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك تأتى الهزيمة وتغلق أبواب النصرة ، لماذا؟ لأن لنصرة الله شروط.. هذه الشروط لا تتغير حتى ولو كان رسول الله في الصف.

قوانين الله تمضى حتى لوكان رسول الله في مقدمة الصفوف.. لكن ينكسر المسلمون لماذا؟ لمخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا خالفت الأمة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تأتيها النصرة؟ كم سنن النبي صلى الله عليه وسلم ضيعنا وفرطنا؟.

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٩، سورة الرعد _ الآية ٣١ .

لولا الرسول صلى الله عليه وسلم ما عرفنا الله .. ما عرفنا آيات الله { رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا }(١) هدى رسول الله كله رحمة .

والله لو عرف الناس هدى رسول الله ما خالفوه لا في صغيرة ولا كبيرة .

ممن تخافون ؟ الى متى الغفلة؟ متى سنأخذ الزاد الى الله جل وعلا ؟ لله أوامر .

محبة الله لها علامات: أن تطيعه وأن تطيع رسوله.

أما أن تزعم هذه المحبة بغير طاعة فهذا نوع من أنواع الكذب الذى لا يقبله الله جل وعلا.. اللهم إلا في الطاعة.

ولا أمان الا في كل العبودية لله جل وعلا وحده.. فأقبلوا على الله .. الإقبال على الله يحتاج الى جدية وصدق .. الإقبال على الله لا يكون

---

(١) سورة الطلاق _ الآية ١١.

فيه شك ولا تردد.. إنما يريد جدية وصدقا.. والصدق لا بد أن يخرج من القلب على الجوارح.

الإسلام يحتاج الى رجولة .. ماتت الرجولة حينما ماتت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة .

أظهروا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وانتظروا الخير من الله تبارك وتعالى .

أظهر الرجولة التي في كيانك لهذه السنة .. فالرجولة في الإسلام لها ملامح.. الأمه مخدرة.. الأمة في حالة تخدير كامل .. والشيطان أصاب بعض أهل الايمان بالخبل فيظنون أن العزة في غير أمر وفى غير أمر رسوله .

هذه سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم .. هذه سنة عن سيد الخلق بها نتميز عن غيرنا .. لأن الإيمان شيء في القلب وشيء يظهر على الجوارح.

لا بد أن تكون سمات المؤمن كلها دالة على أنه من أتباع الله عز وجل وأتباع رسوله. ولا يبالى ما أقبلت به الدنيا أو أدبرت.

يا شباب الإسلام أنصروا الدين ولومن حيث المظهر.

يا شباب أمة النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوا حياة النبي صلى الله عليه وسلم فهي هدف هذه الدنيا لتصلوا الى الله على خير وفى أمان.

يا أهل الأيمان لابد أن تتميز حياتكم.. تتميز طريقتكم في الكلام.. أسلوبكم في السمع.

لنا حياة من صنع الله على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .. نلتزم بأوامر الله .. ونلتزم بنهج النبي صلى الله عليه وسلم .. ولا علينا ما تقوله الدنيا عنا متزمتون متخلفون. ..... حسبنا أن نرضى ربنا وسيدنا وخالقنا.

* * * * *

البيان التاسع

يقـول الله عـز وجـل { إِنَّ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ }(١).

هذا دين أصحاب العقول والأفهام .هذا دين العقلاء .. وفى نفسك طاعة الله قائمة بعيدا عن إرادتك.. جسدك الذى تتحرك به يعلن الولاء لله وحده.. جهازك الهضمى يعمل بأوامر من؟ البصر بأوامر من؟ السمع بأوامر من؟ أنت فى حالة طاعة .. فإذا ما خالفت أوامر الله جل وعلا أنت متمرد تستحق العقوبة.. املأ قلبك بعز لا إله الا الله.

كل العبيد عاجزون عن النفع وعن الضر.. لا يستطيعون شيئا لا لك. ولا لغيرك.. تأمل نفسك حين تنام وفكر .. كيف نمت؟ واذا ما استيقظت فكر نفسك كيف استيقظت؟ ثم اذكر حديث الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول:" إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ : وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا ، مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ ، مَا غَرَرْتُكُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٩٠.

كَافَّـةً ، وَاللَّـهِ لَتَمُـوتُنَّ كَمَـا تَنَـامُونَ ، وَلَتُبْعَـثُنَّ كَمَـا تَسْـتَيْقِظُونَ ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا. وَإِنَّهَا لَلْجَنَّةُ أَبَدًا. وَالنَّارُ أَبَدًا، وَأَنْتُمْ لأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرُ (١) "

أنت جهاز معقد.. من الذى بدأ فيك الحركة الأولى؟ وكيف صورك فى بطن أمك؟ وكيف أودعك خصائص أبيك وأمك وأهلك(خصائص الوراثة) .

يقول الله عز وجل { **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}(٢).

تأمل ولا تعطل عقلك. المسألة تحتاج الى وقفة.. تقف مع نفسك لكى تسأل نفسك.. كيف بدأت؟ والى أين ستنتهى؟ العقل به ١٠ بليون خلية عصبية عقدية أي ما يكفى لصنع ٢٠ ألف جهاز الكرتوني معقد.

صنعة من؟ من الخالق ؟ الله.. امشى في ملك الله متأمل .. لا تمشى تائها .. وإلا لا تستحق نعمة العقل التي أعطاها لك.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري .

(٢) سورة آل عمران _ الآية ٦.

أعلموا أن مواطن العز .. ومواطن الغنى.. ومواطن القدرة بيد الله .. أنت تتعامل مع اله قادر يعلم السر وأخفى .. لا يعجزه شيء.. ولا يغيب عن سمعه شيء.. ولا يغيب عن بصره شيء.. ولا يغيب عن قدرته شيء.. لا إله الا هو { **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**}(١).

استحيوا من الله جل وعلا وراقبوه في سركم وعلانيتكم، وقال صلى الله عليه وسلم: «لو أَنَّ الله عَذَّبَ أَهْلَ سماواته وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غير ظَالِمٍ لهم »(٢). وأخبرك بحقيقة الدنيا كلها هم وكدر.. وأرسل لك نبيا ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم فرق الناس جعلهم فريقين: طائعين وعصاة ، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : " جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ،

---

(١) سورة الزخرف _ الآية ٨٤.

(٢) رواه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: أبو داود (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧) وصححه ابن حبان (٧٢٧).. وروى ابن حبان (٦٥٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لَوْ يُؤَاخِذُنِي اللهُ وَابْنَ مَرْيَمَ بِمَا جَنَتْ هَاتَانِ يَعْنِي الإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبَنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، فَقَالُوا : أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : فَالدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ " ، تَابَعَهُ قُتَيْبَةُ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ خَالِدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ ، عَنْ جَابِرٍ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ." (١).

---

(١) صحيح البخاري» كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى (٦٧٦٥).،.الآداب للبيهقي(٨٤٥)، الأنوار في شمائل النبي المختار» بَابٌ فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ _للبغوي (١٢٣٧)، إتحاف المهرة(٢٥٩١).

ولولا ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ما ظهرت أنواع الناس.. وما ظهر من يستحقون الجنة ومن يستحقون النار.

فبظهور الدعوة الى الله تعالى يميز الله بين الخبيث والطيب.

اذا ظهر ركب الدعوة فانتظر الفيصلة من الله رب العالمين.. مادامت الدعوة بدأت.. ومادام الدعاة إلى الله عز وجل أذن الله لهم أن تنطلق ألسنتهم بذكره وبالدعوة له، فانتظروا الفيصلة من الله رب العالمين.

واعلموا أن الفيصلة من الله تعالى قد اقتربت أو أوشكت.. نحن في حاجة الى بيئة حتى أعيش ٢٤ ساعة مسلم، لأنه اذا كانت البيئة فاسدة فأنت تعيش مسلم نصف ساعة في الأربع وعشرين ساعة، وهى التي تذهب فيها الى المسجد، أو تذهب فيها للبيت، حتى النصف ساعة التي تصلى فيها، الدنيا طاغية عليها، من اليمين والشمال ، من الأمام ومن الخلف.

الدنيا داخلة في القلوب حتى اذا وقفت بين يدى الله في الصلاة فأنت تجد الدنيا تشاغلك.. حتى الوقت الخاص بالصلاة ليس خالصا.

وتخرج في الواقع تجد الواقع كله لا يحبه الله ولا رسوله .. واقع مشوه.. أين الإسلام من هذا الواقع؟ هذا واقع لا يعرف الإسلام ولا يعرفه الإسلام.. سلوا عن الإسلام ربه.. وسلوا عن الإسلام نبيه. . وسلوا عن الإسلام كلام الله جل وعلا.

إنما هذا الواقع الذى تعيشونه واقع ليس بينه وبين الإسلام نسب ولا صلة.

طيب نريد الإسلام ماذا نفعل؟ تخرجوا في سبيل الله.. وتفرغوا الأوقات وتأتوا إلى المسجد .. بأي نية؟ بنية الاقتراب من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لا للكلام، كفانا كلاما. الكلام كثير.. أي شخص منكم يعرف عن حقائق هذا الدين ما يحتاج إليه أمم وخلق كثير.

لو أي واحد منكم نزل في أي بلد من بلاد أفريقيا حيث الفطرة كما خلقها الله رب العالمين.. فطرة سليمة.. تأخذها الشياطين فتهودها أو تنصرها أو تمجسها. . هؤلاء لو أن كل واحد منكم عقد النية على أن يكون خادما للإسلام لن ينقص رزقك ولن ينقص أجلك انما سيشرفك الله بخدمة دينه، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيُّهَا النَّاسُ ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ

الْمُنْكَرِ ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلا يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلا يَغْفِرَ لَكُمْ ، إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لا يَدْفَعُ رِزْقًا ، وَلا يُقَرِّبُ أَجَلا ، وَإِنَّ الأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ ، وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ ، ثُمَّ عُمُّوا بِالْبَلاءِ (١).

فلو أن أي جماعة منكم نزلوا على أي بلد مثل تشاد الصومال تنزانيا كينيا ساحل العاج جنوب أفريقيا.

أي شخص منكم سيذهب الى أي بلد من هذه البلاد.. سيجد خلق كثير لا يعرفون عن الإسلام شيئا.. وهم في شوق الى نداء الحق.. لأن الكلام عن الله وعن دينه هو نداء الفطرة، ولوكان الكلام عن الاسلام بلسان غير من تتحدث إليه، لأن فطرة الناس دماؤهم وشعورهم وأبشارهم اذا سمعوا كلام الله لانت جلودهم، ولانت قلوبهم لذكر الله رب العالمين.. وإن كانوا لا يفهمون كلام الله.. فالبشرية كلها تنتظركم.. تنتظر العرب

(١) المعجم الأوسط للطبراني(١٣٩٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم(١٢٦٤٧)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا» مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا الله . (٤٥).

.. وتنتظر أهل مصر .. أهل الذكاء والفطنة والفهم.. أصحاب الفهلوة والنباهة.. العالم كله ينتظرك حتى تعمل لحساب الله.. اذا اشتغلت لحساب الدنيا ممكن تجمع مال ولا يوجد مثلك.. عندك مائة ألف جنيه وعمارة وسيارة ..إنما في الآخرة شوية تراب.. أو تأتي بأعلى شهادة من الخارج.. ومن الممكن لا تصل بلدك.. توصل في صندوق حامل حضرتك الى القبر.. فتجارة الدنيا كلها خسرانة مائة في المائة.

شخص نبيه جدا استخدم ذكاءه في الدنيا جمع مال وتركه.. بالله عليكم هل هذا نبيه.. أم عبيط؟ جمع مال حتى أصبح عنده ما لا يحصى ولا يعد.. وبعد ذلك { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ }(١).

يقف بين يدى ربه ويسأل عن مال يتمتع به غيره. . وأضاع العمر كله في جمع هذا المال .. هل هذه نباهة؟ شخص عنده عمر استخدم هذا العمر في أن يستمتع بوقته. ويستمتع بحياته .. بماذا يستمتع؟ عمرك كم سنة؟ ٦٠ سنة ؟ آخر عشر سنوات لا طعم لهم من ٥٠ الى ٦٠ وأول ٢٠ سنة ليس لهم طعم.. تبحث عن شهادة.. تبحث عن أكل

(١) سورة القصص _ الآية ١٨.

عيشك ٢٠+١٠=٣٠ والثلث نوم.. والثلث على محطة الأتوبيس.. والثلث في بيت الخلاء.. ماذا بقى لك؟ .

تريد أن تخطط وتتمتع وتعمل خطط.. حتى تستشعر السعادة في هذه الدنيا لن تدرك ذلك .. لكن خليك نبيه واستخدم كل هذه الملكات من أجل ماذا؟ كيف نعمل لدين الله عز وجل .. هذا الدين كفكر .. يغلب كل فكر . . هذا الإسلام اذا ناقشته بفكرك بعقلك .. تجده فكر نقى واضح صافى مشرق .. ظاهر على كل فكر.. ولكن عندما نعرض هذا الإسلام على الناس فيقول لك هذه الأفكار أين أجدها واقعا؟ يقول ننظر على واقع المسلمين تجد فيهم الخيبة والغيبة والنميمة والزنا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل .. يقول لك أنت تريدني مثل هؤلاء؟ لا أنا أفضل هكذا .

نحن المسلمين اليوم واقعنا مثل الحية الملتفة على باب كنز ثمين .. لا هي مستفيدة بالكنز ولا هي تركت غيرها يستفيد من هذا الكنز.

فنحن واقفين على باب الإسلام.. لا تركنا الناس تدخل في هذا الدين ولا نحن نستفيد من هذا الدين.

لن نستفيد من هذا الدين إلا بمعايشة هذا الدين.. واقع .. ذق طعم صلاة الليل.. صلاة أحباب الله.. من منكم يعرف التهجد؟ من منكم يقرأ كل يوم جزءا من القرآن. كل يوم ويتذوق حلاوته أشهى من العسل.. أبرد من الثلج.. من منكم يتعاشر معاشرات الإسلام؟ اليوم معاملات الناس مع بعضها فيها التربص.

يا ترى الدرجة من سيأخذها؟ وكيف أصنع فتيلا في زميلي عند رئيس مجلس الإدارة؟ أو عند المدير؟ عيشة ليس لها طعم.. فيها المكر والبخل.. والطمع.

إنما المعايشة في ظلال الإسلام الله أكبر.. راحة وطمأنينة وسكينة. ونظرات ود ومحبة وسلام.. يسقط الذنوب.. يعطر الأيدي عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا "، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. (١).

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٢٧).

هذا واقع المسلمين. واقع الإسلام تجمع. واقع الإسلام هداية.. نور .. محبة.

هذا هو الواقع الذى صنعه رسول الله لهذا الدين.. عندما كانوا يسألون الصحابة : فوقف المغيرة بن شُعبة – رضي الله عنه – أمام رستم قائد الفرس، قال – رضي الله عنه –: "فأمَّا ما ذكرتَ من سُوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منَّا، وأمَّا جوعُنا فلم يكن يُشبِه الجوع، كنَّا نأكُل الخنافس والجُعلان، والعَقارب والحيَّات، ونرى ذلك طَعامَنا، وأمَّا المنازل فإنما هي ظهْر الأرض، ولا نلبسُ إلا ما غزَلْنا من أوبار الإبل وأشعار الغنَم!

دينُنا أنْ يقتُل بعضُنا بعضًا، وأنْ يُغير بعضنا على بعض، وإنْ كان أحدنا لَيَدفِنُ بنتَه وهي حيَّة؛ كراهية أنْ تأكُل من طعامه! فكانت حالنا قبلَ اليومِ على ما ذكرتُ لك، فبعَث الله إلينا رجلاً معروفًا؛

نعرفُ نسبه، ونعرف وجهَه ومولده، فأرضُه خير أرضِنا، وحسبُه خيرُ أحسابنا، وبيته خيرُ بيوتنا، وقبيلتُه خيرُ قَبائلنا"(١).

هذا الواقع الذى تكون له الجاذبية التي تستهوى القلوب والعقول. قلوب متآلفة بعد أن كانت قلوب متباغضة.. محبة بعد بغض.. مودة بعد شحناء وعفن.. هذا الواقع الذى يصنعه الإسلام.. فيدخل الناس في دين الله أفواجا .. فنخرج في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا .. لا نأخذ شيئا من أحد. . لأن هذا الدين يظهر جماله اذا كان الدعاة إليه لا تلتفت أنظارهم وقلوبهم إلا إلى خزائن الله جل وعلا.

أما اذا التفت قلب الداعي الى ما في أيدى الناس سقط وسقطت دعوته، لذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم. عرض عليه المال فأباه. وعرض عليه الملك فرفضه.. لأن الدعوة الى الله.. ودين الله أغلى من الملك ومن المال .. فنخرج فى سبيل الله نقضى ٢٤ ساعة في برنامج . هذا البرنامج نسخة من منهج وحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) البداية والنهاية" ٤٢/٧.

تقوم تصلى بالليل .. وتتعلم صلاة الليل.. تصلى الفجر في جماعة .. أهم من هذا كله تعزل نفسك عن المعصية .. وعن بيئتها .. تتذوق حلاوة هذا الدين .

وعَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٠/٢ ، رقم ٨٠٨١) ، والترمذي (٥٥١/٤ ، رقم ٢٣٠٥) ، وقال : غريب ، والبيهقى في شعب الإيمان (٧٨/٧ ، رقم ٩٥٤٣) .قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢ / ٦٣٧ :أخرجه الترمذي (٢ / ٥٠) و أحمد (٢ / ٣١٠) و الخرائطي في مكارم الأخلاق وقال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ١٠٠ في صحيح الجامع.

لم نعرف حقيقة هذا الدين ونحن نعيش حياة مخلوطة بالمعصية وبالغفلة وبالبعد عن الله عز وجل.

من سيجمع هذه القلوب؟ إن الجهد لدين الله عز وجل أن نتجول في أرض الله مع رفع لواء النبي صلى الله عليه وسلم.

لا بد من الجهد لتعرف الأمة قيمة حلقات التعليم في المساجد.. وفى البيوت.. لا بد من الجهد ليعرف أهل الأيمان حلاوة ذكر الله عز وجل.

لا بد من الجهد لنعرف في قلوبنا ونعظم في صدورنا أوامر الله وأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. عمروا المساجد .. المساجد بيوت الله جل وعلا.. وقد فتحت بفضل الله تعالى.. كل مساجد الأمة .. بل كل مساجد الدنيا.. فتحها الله لجهد نبيه صلوات الله وسلامه عليه.. انتهزوا هذه الفرصة فهى غنيمة.. وتحركوا في أرض الله كلها من شرقها الى غربها .. من شمالها الى جنوبها.. وأشهدوا الدنيا على أن أمة الحبيب ما زالت تحمل دين رسولها بعد حبيبه صلى الله عليه وسلم.

إن كانت لكم عقول .. فانظروا الى عاقبة من مضى.. لتعلموا عاقبة من سيأتي ولتعلموا عواقب الأمور بين أيديكم. { **وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً**

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }(١) أين من يتذكرون؟ أين من يتدبرون؟ أين من يعقلون؟ ومشاهد الأمم السابقة شاهدة على سنن الله في كونه.

إن الله جل وعلا له جنود السماوات والأرض، والإنسان مهما بلغ في تقدمه ومدنيته عاجز أمام قدرة الله ، وأمام جند الله.

هل للبشرية وللعلم قبل بالرياح اذا أمر الله جل وعلا جنده من الرياح أن تتحرك على هذه الأرض لتدمرها؟.

من يستطيع أن ينجى الناس من عذاب الله ومن بطش الله؟ هل عند البشرية العاجزة سلاح يواجه سلاح الرياح؟ ليس عندهم شيء من ذلك.

قال جل وعلا:{ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }(٢) بدأ الإنذار .. الحرارة شديدة .. وزلازل وأعاصير .. وغلاء في الأسعار .

انظروا في التاريخ .. كم من ظالم وجد من يعينه على ظلمه فاستبد وظلم وبغى ثم بعد ذلك استجار على من أعانه على ظلمه فنكل به .

---

(١) سورة القمر _ الآية ١٥.

(٢) سورة القمر _ الآية ١٥.

أم أنكم لا تقرءون التاريخ ولا تعرفون قصصكم؟ يعلمنا ربنا جل وعلا أن ننظر في التاريخ لنتعلم العبرة ، ولنأخذ الفهم.

واذا أردت العبرة فعليك أن تنظر الى قصة الآدمي أو الأمة من بدايتها الى نهايتها.

فالقصص الذى يعرض عليكم قصص مزيف هابط حقير. لأنه يخدع عقولكم .. ويستثير شهواتكم.. ويفجر حاجات لا قيمة لها.. ولن تكن موجودة عندكم. . ونحن في غنى عنها .

وأعداء الإسلام يركزون في هذه الفترة للمسلمين بأسلوب جديد قوامه أن يفجروا في الجموع المسلمة رغبة العشق والحب لهذه الدنيا.

ويفجروا في الأمة المسلمة حاجات جديدة لن تكن موجودة من قبل .

ثم يغدقون عليهم بهذه الحاجات .. فاذا ما أصبحت هذه الحاجات جزء من السلوك ورغبة في الدماء أخذوهم من هذه الرغبة بخطامها ليسوقوهم الى جهنم.

لذلك كان الجهد لدين الله عز وجل وكان الجهاد في سبيل الله في حق أمة النبي صلى الله عليه وسلم هو سر حياتها وسر وجودها.. لأنها بغير الجهد لدين الله تبارك وتعالى تركن الى الدنيا .

والله لا يحب الذين يركنون الى الدنيا ويطمئنون اليها واسمعوا قول الحق جل وعلا:{ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** }(١).

فالرضا بالدنيا والاطمئنان اليها والتفتيش في رغباتها واشباع كل الحاجات النفسية فيها هذا خطر رهيب على أمة النبي صلى الله عليه وسلم.

يامن أخطأت في حق ربك .. يا من نسيت أوامر سيدك.. يا من ابتعدت عن ساحة مولاك.. ربك يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. "

اغتنموها فرصة.. أنفاس الحياة فرصة.. وهذه الأنفاس في الصدور فرصة.. أيامكم فرصة.. عجلوا بالتوبة والرجوع الى الله قبل أن ينتهى الأجل ويغلق باب التوبة.

---

(١) سورة يونس _ الآيتان ٧ ، ٨ .

ثم افتح مسامع قلبك لتسمع كلام سيدك ومولاك.. ولتسمع كلام ربك:{ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ }(١) احذر أن تتعرض لغضب الله.. احذر أن تحارب الله.. أحذر أن تعاند الملك جبار السماوات والأرض.

هل علمت خبر الجبابرة ؟ هل علمت خبر المعاندين لله ولأمره ؟ هل عرفت قصة ثمود؟ وقصة فرعون؟ وكانت معهم الجنود الكثيرة بالأسلحة والعتاد والعدة. فما أغنى عنهم ذلك من الله شيئا .

لا تحتمى الا بالله لأن غيره لا ينفعك. والدنيا الى زوال.. وكلنا الى لقاء الله نمضى .. والناس في رحلاتهم ورحى المنية تطحن.. وكم من أماني قطع الموت الطريق عليها؟ :{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ }(٢) ؟ ماذا فعلوا بجنودهم ؟ ماذا فعل فرعون بملكه؟ ماذا فعلت ثمود بسلاحها؟ دمرهم الله تبارك وتعالى .

كيف دمرهم؟ هل دمرهم بأهل الأيمان ؟ شاء الله في كثير من الأحوال أن يجرد أهل الأيمان من القوة والسلاح حتى تظهر قضية الأيمان مجردة .

---

(١) سورة البروج _ الآية ١٢ .

(٢) سورة البروج _ الآية ١٧ ، ١٨ .

وحتى لا يعتصم بحبل الله الا من تجردت نيته لله وحده.

واعلم أن القوة في كبرياء الله وفى عظمته.. فقدم الله عز وجل دليلا على وحدانية الله.. وما أجل قدرة الله وما أعظم دوامه حين ننظر الى أهل الأيمان والتوحيد.. فنرى دلائل توحيد الله جل وعلا في عيونهم وفى كلامهم وفى أحوالهم.. رضوا بالله فرضى عنهم وألبسهم حلل الجمال والجلال.. فدلوا بالله على الله.. يا أهل الأيمان أطمئنوا .. يا أهل الأيمان لا تفزعوا.

يا أهل لا إله الا الله حسبكم الله ونعم الوكيل. . حسبكم الله.

كبرياء الله أكبر من تدبير من كفر . . وعظمة الله أشد من إعراض من أعرض. . وعلم الله أوسع والعاقبة للمتقين.. ولقاء الله آت :{ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**}(١).

. فاحرصوا على الصلاة . واطلقوا الألسنة بذكر الله. وتحلقوا حول القرآن العظيم. وتعلموا آياته . وتدبروا حكمه . واعلموا أن الأمر لله من قبل ومن بعد. :{ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** }(٢).

---

(١) سورة العنكبوت _ الآية ٦ .

(٢) سورة الشعراء _ الآية ٢٢٧ .

البيان العاشر

قال الله تعالى:{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ }(١) .

الرجولة في الإسلام لها ملامح:{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }(٢)

الرجال في بيوت الله ترى ملامحهم:{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا

(١) سورة النور _ الآيتان ٣٦ ، ٣٧.
(٢) سورة النساء _ الآية ٣٤.

بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } .

أما اذا نظرنا الى أحوال البيوت لوجدنا فيها القوامة للنساء.. والقوامة فيها لمناهج اليهود والنصارى.

واذا نظرنا الى المساجد فوجدناها خالية من ذكر الله جل وعلا.. والقوامة فيها للغفلة وللبعد عن الله.. لا ترى عمارها، تبكى على ساكنيها. تنتظر الذاكرين والداعين.. وتنتظر العلماء والمتعلمين.

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي" إنَّ بيوتي في أرْضي المساجد، وإنَّ زُواري فيها عُمَّارها، فطُوبَى لعبدٍ تطهَّر في بيته، ثُمَّ زارني في بيتي، فحقٌّ على المزور أنْ يكرمَ زائره"؛ رواه الطبراني عن ابن مسعود.

حق أوجبه على نفسه سبحانه وتعالى. وكل منا له حاجات لا يملك قضائها إلا الله.

وللكريم ضيافة وليس هناك أكرم من ضيافة الله جل وعلا.. ووالله الذى لا إله غيره ولا رب سواه إن علوم العباد تنقطع دون فهم عن ما

يعده الله لمن يكون ضيفا عليه.. أنت ضيف على الله.. ضيف على الملك.. اجلسوا وصبروا أنفسكم فطلب العلم يحتاج الى صبر. . وطلب المغفرة يحتاج الى صبر.

المساجد هي الأماكن التي يخرج منها الرجال.. مصانع تربية الرجال هى المساجد.. مصانع تربية الأبطال هي المساجد.. مصانع تربية الأمناء هي المساجد.

هذه المجالس مجالس رحمة.. ينزل الله جل وعلا فيها السكينة على قلوب أحبابه.

فالسكينة طمأنينة خفية وعز خفى بالله تبارك وتعالى تجعل العبد أثقل من الجبال.

في هذه المجالس يغفر الله الذنوب.

في هذه المجالس لله منح وعطايا وفيوضات تنصلح بها أحوال الدنيا وأحوال الآخرة.

هذه المجالس نريد أن نشيعها في الأمة.. لأنه بهذه المجالس نتعلم ديننا.. وبهذه المجالس يزداد ايماننا.. وبهذه المجالس نزداد قربا الى الله جل وعلا.. يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : إِنِّي لأَهِمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي ، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَنْهُمْ "(١).

بعمارة المساجد يصرف العذاب.. عمروا المساجد .. عمروها بالذكر والطاعة .. وبالعلم والدعوة .. وبالأقبال على الله جل وعلا.. ليرفع الكرب عن هذه الأمة وعن أمم كثيرة في الأرض شقيت بمدنيتها وتعست بحضارتها وهى في انتظار أتباع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يحملون إليهم مشاعر الخير ويدلونهم الطريق الى الله جل وعلا.

هناك لعب بدين الله جل وعلا. واستهزاء بآيات الله.. وأعداء الإسلام يحارون في الإسلام وفى المسلمين.. ويريدون تشتيت جهودهم وعقولهم وأهوائهم.

الله سبحانه وتعالى أكمل دينه وأتم نعمته :{ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ**

(١) شعب الإيمان للبيهقي» الْحَادِي وَالسِّتُّونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ (٢٦٩٦ ، ٨٤٧٢).

اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١)

وفى الناس عطش للإسلام.. ورغبة في الايمان.. وشوق إلى طاعة الله جل وعلا.

ولكن هناك أعداء لهذا الدين.. وهناك شياطين من الإنس والجن يريدون أن يقطعون عليك الطريق وأنت تتجه إلى ربك جل وعلا.

والمخرج أن تعتصم بهدى الله.. وهدى نبيك صلى الله عليه وسلم.. وأن تعبد الله كما أراد ربك جل وعلا.

إذا نظرتم الى الاسلام.. وإذا نظرتم الى القرآن.. فقرأوا القرآن من أوله الى آخره لتتعرفوا على هذا الدين من ألفه الى ياءه.

ولا تنظروا الى الاسلام ليعرض عليكم كجزئية.. القرآن لا يعرض مجزئا.. والإسلام لا يعرض قطعا قطعا.. الإسلام يعرض كاملا.. وقضايا التوحيد والايمان تعرض كاملة.. المنامات ليست مصدرا للتشريع.. الشرع تم وهو محفوظ في كتاب الله.. ومحفوظ في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.. والأمر يحتاج الى فهم. . ويحتاج الى بصيرة.

---

(١) سورة المائدة _ الآية ٣.

فَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ ؛ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا ، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَرَوَى الدَّارِمِيُّ نَحْوَهُ ، وَكَذَا ابْنُ مَاجَهْ إِلَى قَوْلِهِ: (كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ)(١).

والذى بين القرآن هو الحبيب صلى الله عليه وسلم.

هناك أعداء لدينكم.. وأعداء لهذه الأمة من أولها الى آخرها.

ومن علامات الانحطاط في هذه الأمة: أن يلعن آخر هذه الأمة أولها.. وأن يتهم بعضنا بعضا.

---

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الإيمان» باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

إن للمسلم على أخيه حق أن يحسن الظن فيه:{ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ }(١) .

وهذه أمة الرجال .. وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تواصل لها ولحفظها ولدراستها وللبحث عن أسرارها رجال ليس فينا من يصلح لمناقشتهم ولا اتهامهم .. إنما هو زيغ في العقول .. وهوى في القلوب.. والعصمة.. أين العصمة؟ أن نتعاون فيما اتفقنا فيه.. هناك أمور في هذا الدين لا خلاف عليها على الأطلاق.. علينا أن نتعاون فيها.. أن نتعاضد فيها ونتآزر ونتعاون.

وسبب هذه الآفات إما قصد سيء.. وإما جهل . وإما عمى.. وإما تكبر على الحق ورغبة في هذه الدنيا.

والسبيل للنجاة أن نتحرك مع هذا الدين.. نحافظ على صلاة الجماعة في المسجد.

---

(١) سورة النور _ الآية ١٢.

وإذا كان الإمام الذى أصلى خلفه غير ملتحى؟ أصلى أم لا أصلى؟ تريد أن تترك الصلاة لأن الأمام غير ملتحى؟ من قال لك ذلك؟ من أين جئت بهذا الفقه؟ إن الذى يصلى بقوم وهم له كارهون لا ترفع صلاته فوق رأسه هذا عليه.

أما أنت فصلاتك ترفع على قدر حالك مع الله تبارك وتعالى.. وعلى قدر حضور قلبك.

إن الذين يقولون ذلك يريدون للمساجد أن تصبح خربة.. وألا نتجمع فيها.. لا بد من أن نتجمع.. أهل الهوى يتجمعون على الهوى.. وأهل الضلال يتجمعون على الضلال.. وأهل الكفر يتجمعون على الكفر.. أفلا نتجمع على أهل لا إله الا الله محمد رسول الله؟؟ اجتمعوا للدين .

أقبلوا على الصلاة في المسجد.. شباب خائف وأمهات خائفون.. والاسلام لن يقوم بهؤلاء ولا هؤلاء.

هذا الدين كما أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم. يحتاج الى رجال .

وعلامة الرجولة ألا نخاف الا من الله.. وألا يكون في قلبك شوق إلا الى مرضاة الله جل وعلا.

واسمع كلام حبيبك إن كنت تحبه صلى الله عليه وسلم: وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمَرْفُوعَ مِنْهُ فَقَطْ وَلَفْظُهُ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ. أقبل عنهم رغم أنوفهم لأن القلوب بيد الله وحده.

تمسك بسنة نبيك.. الآن الرجل يقول لابنه: أنت التحيت؟ ستذهب بنفسك في داهية،يا بنى أنا عجزت(١) حرام عليك طاعة الأب فرض.. واللحية سنة.. هذا كذب.. اللحية فريضة.. لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركها لحظة واحدة في حياته.. الرسول صلى الله عليه وسلم ترك صلاة القيام في المسجد خشية أن تفرض عليهم.. عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي حُجْرَتِهِ وَجِدَارُ الْحُجْرَةِ قَصِيرٌ، فَرَأَى النَّاسُ شَخْصَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أي أصبحت عجوز.. وكذا تنطق باللهجة المصرية وهي لا تصح حيث أن كلمة عجوز لا تطلق إلا على المرأة الكبير، أما الرجل إذا كبر يقال له: الشيخ.

وَسَلَّمَ، فَقَامَ أُنَاسٌ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ فَأَصْبَحُوا فَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ، فَقَامَ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ فَقَامَ مَعَهُ أُنَاسٌ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، صَنَعُوا ذَلِكَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَخْرُجْ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ فَقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ "(١) .

وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى اللَّيْلَةَ الْقَابِلَةَ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ(٢).

---

(١) صحيح البخاري» كِتَاب الْأَذَانِ» أَبْوَابُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ (٦٩٠، ٨٧٧ ، ١٠٦٧ ، ١٨٨١، ١٨٨٢)

(٢) صحيح مسلم » كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» بَاب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ (١٢٧٦)، موطأ مالك رواية يحيى الليثي» كِتَابُ الصَّلاةِ في رَمَضَانَ» بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّلَاةِ فِي رَمَضَانَ(٢٤٧) ، سنن أبي داود(١١٦٧)،

وفي رواية أخرى لمسلم:"..... وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا(١).

وفي مسند الإمام أحمد: قَالَتْ عَائِشَةُ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ، فَثَابَ رِجَالٌ فَصَلَّوْا مَعَهُ بِصَلَاتِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ تَحَدَّثُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَاجْتَمَعَ اللَّيْلَةَ الْمُقْبِلَةَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَسَلَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَصَلَّوْا مَعَهُ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ نَاسٌ كَثِيرٌ حَتَّى كَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، قَالَتْ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، فَصَلَّوْا مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ ، اجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى كَادَ الْمَسْجِدُ يَعْجَزُ

سنن النسائى الصغرى(١٥٩٤)،صحيح ابن حبان (١٤٢، ٢٦٠٤، ٢٦٠٥، ٢٦٠٦،٢٦٠٧)، صحيح ابن خزيمة (١٠٦٨، ٢٠٦٣) .

(١) صحيح مسلم » كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» بَاب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ (١٢٧٧)

عَنْ أَهْلِهِ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَخْرُجْ ، قَالَتْ: حَتَّى سَمِعْتُ نَاسًا مِنْهُمْ ، يَقُولُونَ: الصَّلَاةَ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ ، فَتَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمْ اللَّيْلَةَ ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجَزُوا عَنْهَا "(١) .

وأفتى الأئمة الأربعة بحرمة حلق اللحية.. اللحية اليوم معركة بين الاسلام وأعداء الاسلام .. زمان كانت تعتبر اللحية سبب لتوجيه التهم.. ولا أفهم أن توجه التهم لصاحب اللحية؟ لا شيء الا أنه تشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآن بدأ الاسلام يتحول الى طوفان.. إقبال الناس على الاسلام.. وسببه أن فطرا تحركت لأنها سئمت من الظلام والغى .. فشهدت فطرة الناس أنه لا إله الا الله.. فتجد الجموع تقبل على الله من غير تدليل.

الإسلام يحتاج الى رجولة.. ماتت الرجولة حينما ماتت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » سادس عشر الأنصار (٢٤٧٩٣)

ما هذه السلسلة التي في رقبتك يا بنى؟ ما هذه يا حبيبي؟ ما هذه الخيبة التي حلت على الأمة؟ سلسلة في رقبته.. وسلسلة ففي يده.. لا يعرف كيف يكون امرأة.. لا يعرف.. الأمر مبكى ليس فيه ما يضحك. والاهتمامات أصبحت اهتمامات خائبة.. ليس عندنا اهتمامات.

يقول لك أولادي مهتمين جدا. بماذا؟ بماذا يا حبيبي؟ يقول لك بجمع العملة التذكارية.. لاحول ولا قوة الا بالله.. والأسرة أمام التلفاز بالست والسبع ساعات .. الرجل والمرأة والأولاد.. والشاي ومن بعده الحاجة الباردة .. وشغل المروحة.

ويدخل الرجل البيت ويسأل ماذا حدث في المسلسل؟ خيبك الله . المسلسل عمل إيه؟ لم يسأل عن الصلاة .. ولم يسأل عن صلاة الفجر. ولم يسأل عن علم الدين.. ولم يسأل عن القرآن .. ولم يسأل عن السنة. وهذه الأحوال لا تبشر بخير.

نحن في خطر اذا لم نتحرك لهذا الدين.. ونتحرك بالقرآن.

أين صلاة الليل؟ أين القرآن؟ من مشغول بالقرآن؟ نحن مشغولين بالأكل والشراب عشرة على عشرة.. وعشرة على عشرة فى الكورة..

وعشرة على عشرة في الموضة.. ويلعبون بنا.. أعداء الاسلام يلعبون بكم.. الموضة وكأنه قيد غل على الرقاب وعلى الأعناق.

كم ينفق على الزينة؟ على زينة النساء.. والنساء تتزين لغير أزواجهن.. تتزين للفاحشة.. وللأعراض عن الله جل وعلا.

كم النفقات التي تنفق على أدوات التجميل؟ المسألة أصبحت في أعناق الشباب وأعناق الرجال.. ليس مطلوبا إلا شيئا واحدا .

أظهروا سنة حبيبي صلى الله عليه وسلم.. أظهروا سنة النبي وانتظروا الخير من الله تبارك وتعالى.

بين الرجولة التي في كيانك لهذه السنة .. والشيطان على الأبواب .. ملأ الشوارع.. وملأ البيوت .. وليس ثلاثة أو أربعة أفلام كل يوم.. لا يصح.. لا يجوز.. قنوات أربع وعشرين ساعة.. لا يجوز أن يكون فيلما واحدا. هل هذا هو العلم؟ هل هذا هو الايمان؟ أن تخرب البيوت؟ وتخرب الحياة؟. وتخرب القلوب؟ .

في انجلترا الارسال التلفزيوني ثماني ساعات. لكن في كنانة الله الغالية الارسال التليفزيوني أربع وعشرون ساعة.

وتتبع أحوال البيوت المسلمة عندما يبتدأ فيلم انظر على أي بيت بالتصور تجد الأسرة الكريمة كلها مجتمعة والهدى شغال .. قصص الخيانة.. وقصص المعاصي .. وقصص الجرائم.. وقصص الناس الذين خابوا عصبيا وذهنيا ونفسيا وكل شيء.. والأسرة قاعدة.. قاعدين يعملوا أيه؟ معطلين. لا لهم طاقة انتاجية.. ولا طاقة بناءة ولا حاجة.. ولا يتعلمون شيئا.. شغلوا عن ذكر الله.. وشغلوا عن كتاب الله.. وشغلوا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وشغلوا عن الحركة لهذا الدين.. وقاعدين يعملوا أيه؟ قاعدين شغلوا بالبطون.. وبما أمامهم من مناظر تهيج الفروج.. وخيبة في الرأس.. وخيبة في القلب.. وخيبة في البدن.

من من الشباب اليوم شهوته في قيام الليل؟ أرنى شابا مزاجه في أن يقوم في الليل؟ ألشاب اليوم تجده معلق صورة فلان.. وفلان.. وهذا شعره بالشكل الفلاني.. وذاك شعره بالشكل الفلاني.. وتنظر للصورة وتنظر لحاله كأنه هو الصورة.. ويرسم نفسه بالضبط .. من أين جئت بهذا السمت؟ وبهذه الهيئة؟ هو دريان؟ هو دريان؟.

إن الذى يتحمل أمانة هذا الدين وينظم له ويتحرك له هو صاحب الكبرياء والعظمة من فوق سبع سماوات.

إن الذى يتولى تنظيم حركة الاسلام في هذه الساعة وفى هذا الزمان هو الله تبارك وتعالى.

فإذا استطعتم أن تقفوا أمام كبرياء الله .. فقفوا أمام كبرياء الله.

الاسلام دائما مضطهد .. كيف تزيل التهمة عن الإسلام؟ بأن تتشبث بهذا الدين.

أطلقوا الألسنة واقتحموا على الناس غفلاتهم .. وأظهروا سنة حبيبكم إن كنتم تحبونه.. وانظروا في سجل حياتكم ما كان موافقا لله ولرسوله فخذوه وتمسكوا به.. وما كان مغايرا لأوامر الله وأوامر حبيبه صلى الله عليه وسلم فاضربوا به عرض الحائط، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

الحبيب صلى الله عليه وسلم أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين ليدلنا على سبل رضوان الله تبارك وتعالى، وليجنبنا غضب الله وسخطه.

فليس هناك عبد يحتمل غضب الله وسخطه.. وليس هناك عبد يحتمل عذاب الله وعقابه. فاذا أردت النجاة فعليك أن تنظر في هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغ أمر الله تبارك وتعالى.. وخرج من الدنيا، وما أخذ منها شيئا ولا كلف الناس لقاء جهده .. ولقاء تعبه ما ينوء به كاهلهم، وإنما كان يقول كما قال الأنبياء من قبله: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(١) .

الحبيب صلى الله عليه وسلم يعلمنا من أبواب الخير.. أن لا نظلم.. وأن لا نعصى الله تبارك وتعالى.. وأن نكون بررة.. وأن نكون أتقياء.. ويعلم الناس أن فلاح هذه الدنيا إنما هو بتنفيذ أوامر الله تبارك وتعالى .

فعن جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا زُرْعَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ يُحَدِّثُ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَدٌّ يُعْمَلُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلَاثِينَ صَبَاحًا (٢)".وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة الشعراء _ الآية ١٠٩ ، ١٢٧ ،١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠. ٤٨٤٧

(٢) سنن النسائي الصغرى – رقم الحديث: (٤٨٤٧).

وَسَلَّمَ " : حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا. " (١) .

فإن طاعة الله جل وعلا ..هي السبب في أرزاق الأرض .. وإن معصية الله جل وعلا .. هي السبب في نكد الحياه وهمومها .

فبطاعة الله تنكشف الهموم .. وبطاعة الله تفرج الكرب.. وتفتح أبواب السماء بالعطاء والخير .

أما بمعصية الله فهو نكد متواصل للحياة:{**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**}(٢) .

وهذه الدنيا دارهم وبلاء.. إما أن تحمل فيها هم الآخرة .. وإما أن تنشغل فيها بهموم هذه الدنيا.. فاجعلوا الهموم هما واحدا.. هم طلب الرضا من الله تبارك وتعالى.. عَلْقَمَةَ ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ : لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدُّنْيَا ، لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا

(١) سنن ابن ماجة – رقم الحديث: (٢٥٣١).
(٢) سورة طه _ الآية ١٢٤ .

عَلَى أَهْلِهَا ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ (١).

تركنا هموم الآخرة .. ولم ننشغل بالصلاة .. ولا بذكر الله.. ولا بقيام الليل .. ولا بالحركة الى دين الله .. فشغلنا الله تبارك وتعالى بأمراض معروفة وغير معروفة.. وهموم الأمراض والبلايا دخلت كل بيت .. فاذا أردنا أن نخرج من هموم هذه الدنيا فعلينا أن نحمل هم الآخرة .. وأن نفرغ أنفسنا لطاعة ربنا جل وعلا .. فالانشغال بالآخرة تحليق في عالم الله تبارك وتعالى .. وعلو وسمو في غايات بعيدة من رضوان الله تبارك وتعالى .

نسأله جل وعلا أن يحمل أشواقنا اليه وأن يحملنا الى رضوانه وأن يذكرنا بطاعته وأن يحبب إلينا الايمان ويزينه في قلوبنا.

نريد أن نشتغل مع الله عز وجل.. طيب نبتدئ منين؟ نشتغل مع الله عز وجل؟.

---

(١) سنن ابن ماجه(٢٥٣ ،٤١٠٤)، لمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي(٤٤٥)، مسند ابن أبي شيبة(٣٤٥).

البداية هي بداية النبي صلى الله عليه وسلم.. الدعوة الى الله عز وجل ، كيف نبتدئ؟ نبتدئها دعوة؟ ولا نبتدئها علم؟ ولا نبتدئها ذكر؟ الذكر طيب :{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}(١) .. يا ترى هل هذا هو المدخل؟.

طيب نتعلم القرآن؟ وتعلم القرآن شيء طيب.. ففي الحديث: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ "(٢).

لكن منهج النبي ابتدأ من أين؟.

قال جل وعلا :{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}(٣).

أنت تريد الناس تعلمها القرآن .. طيب سيأتيك الناس الذين لهم رغبة في القرآن.. طيب والناس الذين ليس لهم رغبة. الذين في الشوارع..

---

(١) سورة البقرة _ الآية ١٥٢ .

(٢) صحيح البخاري» كتاب فضائل القرآن» باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه(٤٧٣٩).

(٣) سورة الأحزاب _ الآيتان٤٥ ، ٤٦ .

الذين في المقاهي.. الذين في البيوت يسمعوا الآذان ولا يأتون.. وفيهم ناس طيبين لو تكلمت مع أحدهم يقول لك أنا حجيت خمس مرات.. وعملت عمرة عشر مرات.

وتأتى اليك الست في زينة كاملة كأنها في يوم عرسها متبرجة تكشف سوأتها على الأجنبي وغير الأجنبي.. وتقول لك أنا اعتمرت. مرحبا يا سيدتي .. على رأسنا من فوق.. أهلا وسهلا.. أنت اعتمرت؟ وأنت اعتمرت يا سيدى؟ ولكن هذا الدين منهج حياة لازم نتربط مع هذا الدين من البداية الى النهاية.. من الألف الى الياء.. من المولد الى الممات.. أربع وعشرين ساعة عندما تسأل في أي ساعة من ساعات النهار أنت عبد لله.. أنت عبد لمن ؟ لله سبحانه وتعالى.

ولسان حالك يقول هذا عبد لله.. فنحن نريد أن نغير الأشواق.. ونرقى هذه الأشواق بالمشاعر.. تكون أشواق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ونبدأ البداية الصح.. ننطلق من المساجد وفي علانية.. الشيء الذى في السر في الدين غلط.. وليس هو الصح. وليس هو المنهج.. سيدنا عمر عندما وصل عدد الصحابة أربعين قال يا رسول الله كيف

نستخفى؟ إذا مش على الحق؟ لما يكون أكثر من مليار وندارى اذا نحن مش فاهمين حاجة خالص.

أنت تعرف دعوة الحق أم لا تعرفها؟ أنت تدين بدين الحق، وعبد لا إله حق، وتتابع نبي الحق .

تستخفى بهذا الدين ليه؟ استعلم.. تريد تقرأ القرآن كله.. اقرأ القرآن كله.. من أول آية الى قوله: { إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }(١).

(١) سورة المائدة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

هذا دين يحتاج الى جهد .. ونحن ندعوكم لبذل الجهد لدين الله عز وجل.. ولابديل عن بذل الجهد مع الله تبارك وتعالى.

يأتي أحد الأشخاص ويقول ندعو إلى الله قبل ما نتعلم؟ نسأل الرسول صلى الله عليه وسلم. ماذا كنت تفعل يا رسول الله؟ هل أمرك ربك جل وعلا بأن تصبر في الغار تتعلم القرآن كله ثم بعد ذلك تخرج للناس داعيا الى الله عز وجل؟ أم أنك كنت تتعلم الآية وتبلغها ؟ وتتعلم الهدى وتبلغه؟ :{ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**}(١) _ على امتداد ٢٣ سنة يدعوك ربك ويعلمك ثم عليك أن تنطلق بماعلمته للناس _ لتقرأه على الناس على مكث.

والعلم هو : معرفة الحق بدليله.

والعلم: هو معرفة الشيء على حقيقته.

أما الدعوة: فهي توجيه قلبك وقلوب الآخرين الى الله.

اجعل هذه شغلك. . ذكر الناس بالله عز وجل .. فكن من هؤلاء ، الذين جاء ذكرهم في الحديث: عَنْ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ ، يَقُولُ : أَنَّهُ

(١) سورة الإسراء _ الآية ١٠٦.

سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي ، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ "(١).

عندما تقول لأى شخص أن الرازق هو الله.. النافع الضار هو الله.. المحيي والمميت هو الله.. لا بد أن نصلى. ولا بد نعبد ربنا. . لأنه لا إله غيره.. يسمع منك أول مرة ..ممكن لا يستجيب لأول مرة.. ولا خامس مرة.. وممكن يستجيب في المرة العشرة.. في المرة العشرين.

كل عبادة في هذا الدين العظيم لها ثمرات ونتائج:

١) فالصلاة والمحافظة عليها تنهى عن الفحشاء والمنكر: قال جل وعلا:{ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**}(٢).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل(١٥٢٤٢)، لأولياء لابن أبي الدنيا(١٩)، حلية الأولياء لأبي نعيم(٥)، معجم الصحابة لابن قانع(٩٠٤)،سير أعلام النبلاء الذهبي» معاذ بن عمرو بن الجموح(٣٧).

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٤٥.

٢) والصيام يؤدى الى التقوى: قال جل وعلا:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(١).

٣) والحج ثمرته الغنى والمغفرة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ " (٢).

٤) الدعوة الى الله والجهد لدين الله ثمرته حفاظة الايمان كله وزيادة اليقين على ذات الله تبارك وتعالى.. وبغير جهد الدعوة لا يأتي كمال اليقين: قال الله تعالى :{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

(١) سورة البقرة _ الآية ١٨٣.

(٢) سنن الترمذي(٧٣٧)، سنن النسائي الصغرى» كِتَاب مَنَاسِكِ الْحَجِّ» فَضْلُ الْمُتَابَعَةِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ... (٢٥٩٧)، مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ المُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (٣٥٤٠).

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(١) حكمة بالغة لتقديم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في هذه الآية على الايمان بالله تعالى، وقال تعالى :{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}(٢) ولم يقل وأهلها صالحون.. فلا حفاظة بغير أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعوة إلى الله جل وعلا.

هذا الدين لا تحفظه العبادة وإنما تحفظه المدافعة عنه.. ولكل نعمة زكاة تحفظها، وتنميها وتزكيها: فالمال زكاته أن تنفق منه. والاسلام زكاته أن تدعوا اليه :{ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(٣) والبصيرة: أي العبرة.

وقيل البصيرة: ألأمر اليقيني المجزوم به الذى لا يخالطه شك.

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

(٢) سورة هود _ الآية ١١٧.

(٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

وقيل البصيرة : عطاء رباني على قدر الاتباع للنبي علما وعملا.

وقيل (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) أي على ثبات في الدين واستمرار.

وعند الزمخشري : :{ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ }أي أدعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء.

وعند السيوطي: أدعوا الى دين الله على بصيرة حجة واضحة.

وعند ابن كثير: :{ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي }وهى الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له .. يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه. وقيل البصيرة أن نتعلم ما ينفعنا وما يضرنا.

وعند ابن الجوزي: البصيرة رؤية الشيء على حقيقته بلا مخادعة.

وبصيرة كل داع الى الله تتلخص في أربعة أمور:

١. أن يعلم يقينا أن له ربا يجب أن يعبد.

٢. أن يعلم يقينا أن الله بعث رسولا يستحق أن يطاع.

٣. أن يعلم أن له دينا يجب أن يبلغ فى كل الأرض الى كل الخلق الى يوم القيامة.

٤. أن يعلم أن بعد الموت حياة يجب أن يستعد لها.

وفى شعب أبى طالب نزلت سورة يوسف:{ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}وكأن الدعوة تخرج من قلبك كل ذرات الشرك حيث أن الذى لا يدعوا الى الله يدعوا الى غيره من عشيرة أو قبيلة أو يدعوا الى نفسه. متى كان شعب أبى طالب حيث حوصر النبي ثلاث سنوات؟ وما هي البصيرة التي تحصل عليها الذين اتبعوه في مكة؟ ستجد أن البصيرة عطاء رباني على قدر اتباعك للرسول في السيرة والسريرة:{ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } ندعوا الى الله والبصيرة على أعظم ما يكون كانت مع رسول الله. وأتباعه يأخذون منها على قدر اتباعهم له وتضحياتهم معه وهم أميون ولكنهم كانوا للعلم النبوي آذانا صاغية وقلوبا واعية وهمما عالية.

* * * * *

البيان الحادي عشر

عَنْ جَابِرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١)(٢).

---

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الفضائل» باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه(٥٧٤٧).

(٢) وللحديث عدة روايات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ : فُضِّلْتُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ بِخَمْسٍ : بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَادَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا أَمَامِي وَشَهْرًا خَلْفِي ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي .

بعث للناس عامة بالدين الحق.. والدين عند الله دين واحد :{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(١). وَفي مسند الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِعَرَفَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ يَا رَبِّ (٢)" .

إن الله جل وعلا رحم عباده فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين.

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ : فُضِّلْتُ بِأَرْبَعٍ : جُعِلْتُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي الصَّلَاةِ كَمَا تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ ، وَجُعِلَ الصَّعِيدُ لِي وَضُوءًا ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ

وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ : فُضِّلْتُ بِأَرْبَعٍ : جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ..

(١) آل عمران _ الآية ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

والله جل وعلا ختم النبوة ببعثة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم :{ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}(١).

وليس إرسال النبي محمدا أمرا جديدا على العالم حتى يُستنكر من اليهود والنصارى، وإنما هو أمر عود الله عليه عباده.. ثم لما ختمت النبوة أعطى الله رسالة النبي محمد ورسالة النبوة الى أمته.

فكلنا مأمور بالبلاغ عن الله جل وعلا، لقول النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (٢).

والحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي

(١) الأحقاف _ الآية ٩.

(٢) صحيح البخاري _ الآية (٣٢٢٦)، سنن الترمذي(٢٦١٢)، سنن الدارمي (٥٤٣)، مسند أحمد بن حنبل (٦٣٠٦)، صحيح ابن حبان (٦٣٩١)، مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠٣)، مصنف عبد الرازق (١٨٥٧٤)، المعجم الصغير للطبراني (٤٦٣).

عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً.متفق عليه.

إذا مات ابن آدم لا ينفعه بين يدى الله الا توحيد الله جل وعلا. آمنوا بالله ووحدوه . واعلموا أنه يغار على توحيده .. ويغار على أن يكون واحدا في ملكه.. لا إله غيره ولا رب سواه.. ومن نازعه في ألوهيته قصمه الله تبارك وتعالى ودمره.

هذه العبودية لله جل وعلا هي سبب النجاة وطريق النجاة وحده.

فاعلموا أنه لا إله الا الله :{ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**}(١).

(١) البينة _ الآية ٥.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ "، قِيلَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا ؟ قَالَ: " أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١). "

إن الله جل وعلا بين شرعه وبين دينه .. ملخص لشرع الله .. وملخص لأوامر الله .

بماذا أُمرنا .. وبماذا أُمرت الأمم قبلنا؟ أمروا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء.. والايمان بالله وحده هو حق الله جل وعلا على عباده واقامة الصلاة إنما هي صلة بينك وبين الله جل وعلا .

ليعبر الايمان من دائرة التجريد الى عالم الواقع.. ويظل الايمان شيئا في الصدر لا يترجمه إلا الصلاة. وبالصلاة تتعلم حقيقة الايمان.. .. وبالصلاة تتعلم حقيقة الصلة بالله.. وبالصلاة تتعلم الأنس بالله. . وبالصلاة تتعلم أن لك ربا يملك قضاء الحوائج فتقف بين يديه مصليا ثم تسأله جل وعلا : فعن عَمْرُو بْنُ دِينَار، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ، كَانَ يَقُولُ :

(١) المعجم الأوسط للطبراني (١٢٥٨)، المعجم الكبير للطبراني (٤٩٣٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم (١٤٢٥٣)، الدعاء للطبراني (١٣٧٤)، التدوين في أخبار قزوين للرافعي (١٣٥٥).

"احْمِلُوا حَوَائِجَكُمْ عَلَى الْمَكْتُوبَةِ "، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَائِنَا : " مَا مِنْ صَلاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعُوَ فِيهَا حَاجَتِي مِنَ الْمَكْتُوبَةِ(١) .

إذا كانت لك عند الله حاجة فلا تقف بها أمام العباد فإنهم لا يملكون . . وقف بحاجتك أمام الله فإنه يملك كل شيء.. صلى لله ركعتين. . فإذا ما سجدت لربك فقدم حاجتك بين يدى سيدك ومولاك:{ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**}(٢).

قريب في علوه.. رحيم في كبريائه .. ودود في عظمته.. عفو في قدرته.. لا يمنعه شيء عن خلقه.. اذا دعي أجاب.

(١) مصنف عبد الرزاق» كِتَابُ الصَّلاةِ» بَابُ الرَّجُلِ يَدْعُو وَيُسَمِّي فِي دُعَائِهِ (٣٩٠٩).

(٢) سورة البقرة _ الآية ١٨٦.

لما سئمنا الوقوف بين يدى الله جل وعلا أذلنا الله بالوقوف بين يدى الخلق:{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ }(١).

ماهى علاقة الصلاة بالرزق؟ انها علاقة خفية لا يراها ولا يعرفها إلا من آمن بالله تعالى.

فتفاوت الأرزاق، وتفاوت القدر، وتفاوت العقول، وتفاوت الأفهام، دليل على قوة الله وعلى عظمته.

فلو كان الأمر باختيار الناس لما اختار أحد من الناس أن يكون فقيرا، وما اختار أحد من الناس أن يكون ضعيفا، وما اختار أحد من الناس أن يكون غبيا.

إن هذا التباين الذى ترونه وتعيشون فيه دليل على كبرياء الله وعظمة الله تبارك وتعالى.

كما أن قضية الرزق ليست مرتبطة بعلة من العلل في موازين الخلق.. فكم من إنسان لا يعلم وعنده من المال الكثير ؟ وكم من انسان ضعيف البنية، ضعيف الجسد، وعنده من المال الكثير.

---

(١) سورة طه_ الآية ١٣٢ .

إن هذا التباين دليل على إرادة عليا تهيمن على هذا الوجود كله :{ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }(١).

لو الإنسان عنده بعض الفهم تعلم أن الصلة الحقيقية بينك وبين زوجتك هي صلة الصلاة، لأنها عندما يأتيها حيضها تمتنع صلتك بها لأن صلتها بربها قد توقفت بعض الشيء.

فالصلة الحقيقية بينك وبين من حولك هي صلة أوامر الله جل وعلا.

واذا عظمت الله جل وعلا أطاعك كل شيء.. فعليك أن تصلى الصلاة كلها جماعة في المسجد.

ولا يصح أن شخصا يفكر أنه من أهل الايمان ومن أهل الجهد للدين ومن أهل الصلاح، ومن أهل التقوى، ومن أهل الإسلام، والآذان يأذن ثم ويتوضأ ويصلى في بيته، لا يصح .

ليس هذا شأن الرجال الذين يريدون أن يتاجروا مع الله، ويحملوا الدين بهمة، ومحتاجين المسألة تكون بجد.

---

(١) سورة الشورى_ الآية ٢٧ .

الآذان تكون أنت في المسجد.. وبعد ما تسلم نتعارف يا أخى بينا وبين بعض.

ماهو المانع؟ أصل الناس لا تحب ذلك.. لا ، خليها تحب ذلك.. سلم على أخيك الذى بجوارك.. تعرف عليه.. أدعه الى بيتك لزيارتك. أكرمه.. أكرمه من فضل الله.. ولا تخف.. الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم.. أنت فائز.. وأنت اذا دعاك أخيك لزيارته فأجبه.. فأنتم الاثنين فائزين.. تأخذوا من خزائن الله.. زعلانين ليه؟ زيارات.

أن يحب المرء لا يحبه الا لله.. أعظم شيء في هذا الوجود أن يكون بينك وبين الناس صلة بغير علة.. يعنى ليس هناك أي مصلحة من مصالح الدنيا من هذه الزيارة.. هنا السعادة.. أن تصنع عملا ليست له أي علة أرضية.. ذاهب الى المسجد لماذا؟ لله.. تزور مسلمين في بلد أخرى لماذا؟ لله.. تعود مريض لماذا؟ لله.. والله تبارك وتعالى يرفع أقدار العباد التي يبتغى بها وجهه رفعة لا يمكن تخيلها بأي منطق.

حياة الناس اليوم أصبح ليس لها معنى. وليس لها طعم.. كل حاجة تعطيني كام؟ اعمل لك كذا بكم؟ ذاهب للمشوار الفلاني اكسب منه كام؟

كله أصبح كام.. كام. كام.. يكسب .. يكسب .. يكسب.. وبعد ذلك عندما تسأل عنه ، يقول لك مات.

فلابد من صلاة الجماعة في كل الأوقات. :{ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**}(١). وقال جل وعلا:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**}(٢).

الصبر حقيقة .. والصلاة شكل لإظهار هذه الحقيقة .. والله ما مدح الأشكال، إنما مدح الحقائق. :{ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** } ولم يقل Yن الله مع المصلين:{ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** }(٣)، ولم يقل أدوا الصلاة. ما معنى إقامة الصلاة؟ أي صلوا صلاة تحل بها مشاكلكم وتسعدوا بها في دنياكم فيرى الناس فيكم أثر الصلاة فيصلون فبذلك تقام الصلاة.

---

(١) سورة البقرة_ الآية ٤٥.

(٢) سورة البقرة_ الآية ١٥٣.

(٣) سورة البقرة _ الآية ٤٣ ، ٨٣ .

البيان الثاني عشر

يقول الله عز وجل:{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}(١).

حى لا يموت .. قيوم قائم بذاته جل وعلا .. وكل من عداه يحتاج في قيامه الى تبارك وتعالى.

أما الله تبارك وتعالى فهو قائم بنفسه لا رب غيره ولا شريك له في ملكه.. هو صاحب الأمر.

غني بذاته، ولو أن هناك شخصا قال أنا غنى أجعلوه يرزق الخلائق يوما واحدا.. يحرمهم الله من الدماء واجعلوه يصرف لهم دماء.. يحرمهم الله من الهواء واجعلوه يصرف لهم الهواء.. يحرمهم الله من نبض القلوب واجعلوه يصرف لهم نبض القلوب..

---

(١) سورة البقرة_ الآية ٢٥٥.

وهو الصمد الذى تصمد اليه الخلائق في جميع الحوائج.. كل الخلائق تصمد الى الله..

وهو الصمد الكامل في صفاته.

وهو الكامل في غناه فلا غني بعده.

وهو الكامل في قوته فلا قوة فوق قوته.

وهو الكامل في علمه فلا علم فوق علمه.. لأن الانسان لا يعلم كثيرا مما حوله في هذا الكون. كم من أشياء تجهلها؟ وكم من أشياء لا تعرفها؟ وكم من أشياء لا تقدر عليها؟.

أنت في هذا الكون عاجز تمام العجز لا قدرة لك، ولا علم لك، ولا وجود لك.

إنما تستمد وجودك وعلمك وقدرتك من علم الله تبارك وتعالى ومن أمر الله.

فإن أطعت الله كانت لك قيمة.. وإن عصيت الله فليست لك قيمة في هذا الوجود.

من أنت؟ أنت نطفة في رحم تجلى عليها صاحب الكبرياء فكانت بشرا سويا.. وبعد أن يتجلى عليك ويجعل لك السمع والبصر تعلن الحرب على سيدك وعلى مولاك.. وتتحدى الله جل وعلا؟ .

إن من الأدب ومن العلم ومن الفهم أن يؤمن العبد بكل غيب أخبر به الله جل وعلا.

لأن العلم علم الله.. والقدرة قدرة الله.. والكبرياء لله جل وعلا وحده.

أنت تجهل الكثير في هذا الكون يقول الله عز وجل:{ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** }(١)، وقال جل وعلا:{ **يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** }(٢).

الله بين حتى لا يكون لأحد حجة بين يدى الله عز وجل.

والله جل وعلا أعطاك أسباب الاستقامة.. أعطاك عقلا بصيرا.. وأعطاك بصرا وسمعا.. وأعطاك ارادة.. اغتنم إرادتك لتصل إلى الله جل وعلا.

---

(١) سورة النحل_ الآية ١٩.

(٢) سورة التغابن_ الآية ٤.

وإياك أن تطيع أحدا في معصية الله تبارك وتعالى، لأن الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا" .

وفي رواية: " مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنْ النَّاسِ لَهُ ذَامًّا "

خاب وخسر من توقع الأجر من غير الله تبارك وتعالى.

يا ندامة من قدم عملا لغير الله تبارك وتعالى.

يا سوء عاقبة من ظن أن غير الله يمكن أن يعطيه الأجر، أو يعطيه العز، أو يعطيه السعادة.

السعادة والعز والغنى والخير كله بيد الله تبارك وتعالى.

وعلى العاقل اذا فعل أي فعل أن ينظر في قلبه بمن يبتغى هذا العمل؟ بمن تبتغى هذا الفعل؟.

واعلم أن كل ما تراه عينك سيفنى، ولن يبقى إلا وجه الله جل وعلا وحده.

وهل الإيمان غيب فقط؟ إيمان بمغيبات؟ أم أنه واقع وسلوك وحياة؟.

هذا الاسلام دين الله الخاتم، لا يتركك تتحرك في أي درب من دروب الحياة وحدك.. وإنما لك من الله نور، ومعك من الله برهان ودليل.

فإذا سلكت في أي شعب من الشعاب فاستحضر أمر الله جل وعلا.

فلله أوامر ينبغي أن تعرف.. ولله حدود ينبغي أن تصان.. ولله أحكام ينبغى أن تراعى.

وإلا فإن الله تبارك وتعالى قادر على تدمير هذا الكون كله:{ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** }(١).

الإيمان واقع وسلوك وحياة.. الإيمان معاشرة.. الإيمان عبادة ومعاملة.

كل ما في هذه الحياة من أمور لله فيها أوامر ينبغي أن تطاع، وإلا عرضت نفسك لغضب الله تعالى ولمقته ولعاقبه ولعذابه.

---

(١) سورة الملك_ الآية ٢٨.

إنكم على موعد مع الله عز وجل.. أين تذهبون من الله تبارك وتعالى؟ أله أرسل نبيا وأنزل كتابا.. فعليكم أن تستقيموا على أمر الله جل وعلا، وأن تبينوا هذا الدين.

أظهروا دين الله جل وعلا بقلوبكم وعلى ألسنتكم وعلى جوارحكم، وحولوا الإسلام من آيات في كتاب الله، ومن نصوص في حديث النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى واقع يتجدد في حياة الناس، ولا تكتموا ما آتاكم الله من فضله. :{ **وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** }(١).

انظروا إلى التهمة التي تستوجب العقوبة :{ **وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّـهُ مِن فَضْلِهِ** }،هذه التهمة وجهها الله جل وعلا لأحبار اليهود والنصارى، يكتمون ما آتاهم الله من فضله:{ **وَإِذَ أَخَذَ اللّـهُ مِيثَاقَ الَّـذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّـهُ لِلنَّـاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَـهُ فَنَبَـذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** }(٢) .

---

(١) سورة النساء_ الآية ٣٧.

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٨٧.

أعطانا الله جل وعلا أعظم النعم.. نعمة الإسلام ، ومن علينا بالقرآن العظيم، وعلمنا هدى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، أكثر الناس ظلما لنفسه من يكتم هذه النعم ، ولا ينشرها ولا يبلغها ، ولا يأخذ بحجز الناس كما كان يفعل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه.

لابد من أن نتحرك لهذا الدين حتى نرى جوهره ، ونرى ما عند الله من كرامة لأهل الايمان ولأهل التوحيد.

أين الذكر؟ أين التسبيح؟ أين تعلم هذا الدين؟ أين القرآن العظيم؟ لابد من أن نتحرك بهذا الدين مع شيء من التضحية لدين الله عز وجل.

احملوا همَّ نبيكم.. النبي كان مشغولا بالدعوة والدعاء .. أين الدعوة والدعاء في حياتك ؟ ليل النبي الطويل كان قياما بين يدى الله عز وجل من أجل أن يرحم أمته.. ونهار النبي كان من أجل أن يدل الناس على الله. ماذا تفعل أنت في ليلك أو نهارك؟ مسلسل بعد مسلسل .. ومباراة بعد مباراة.. الى أن نفضي إلى جهنم وإنا لله وإنا اليه راجعون.

هذا الدين يحتاج الى الجهد.. الجهد بالنفس.. والجهد بالمال.. والجهد بالوقت.. لنفرغ أوقاتنا لدين الله.. ونصرف هذه الأوقات مع

الطاقات من أجل شيء واحد: أن ترتفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أما اذا بخلنا بالجهد.. وبخلنا بالمال.. وبخلنا عن الحركة لدين الله. فالله هو الغنى.. أَخرج ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنُ جَرِيرٍ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : { **هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** }(١) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبْدَلَ بِنَا ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا ؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ثُمَّ قَالَ : " هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ (٢)

والثريا هو أبعد النجوم عنا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضى الله عنه قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ {

(١) سورة محمد_ الآية ٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ }(١) قَالَ قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ " لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ . أَوْ رَجُلٌ . مِنْ هَؤُلاَءِ " . متفق عليه(٢).

صدقت يا رسول الله وأنت تنظر الى مشارق الأرض ومغاربها لتبحث عمن يحملون أمانة رسول الله. ودين رسول الله. لن تجد إلا الأعاجم من أهل الهند وباكستان.. من أهل فارس.

من أحباب سلمان الفارسي رضى الله عنهم. أصبحوا وحدهم في الميدان يتحركون لدين الله جل وعلا.. ونحن شغلنا بدنيانا وبأنفسنا.. وليس لها من دون الله كاشفة.

* * * * *

(١) سورة الجمعة_ الآية ٣.

(٢) صحيح البخاري _ كتاب التفسير _ باب قَوْلُهُ { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } رقم الحديث (٤٩٤٦)، صحيح مسلم _ كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم_ باب فضل فارس(٢٥٤٦).

البيان الثالث عشر

عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، وَابْنُ الدَّرَاوَرْدِيِّ ، قَالا : إِنَّا لَجُلُوسٌ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِذِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ سُفْيَانُ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ : يَا سُفْيَانُ ! فَقَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ تَطْلُبُ السُّلْطَانَ، وَأَنَا رَجُلٌ اتَّقِي السُّلْطَانَ ، فَقُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ، فَقَالَ سُفْيَانُ تُحَدِّثُ وَأَقُومُ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنِ اسْتَبْطَأَ الرِّزْقَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، وَمَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ ، فَلْيَقُلْ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ "، ثُمَّ قَامَ سُفْيَانُ فَنَادَاهُ جَعْفَرٌ ، فَقَالَ: يَا سُفْيَانُ ! قَالَ: لَبَّيْكَ ، قَالَ: خُذْهُنَّ ثَلاثٌ وَأَيُّ ثَلاثٍ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ(١). احفظوا هدى النبي صلى الله عليه وسلم وتعلموه .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي» الْعَاشِرُ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وهو باب في محبة (٦٢٢).

رددوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فكلام النبي أبقى وأغلى من كنوز الدنيا كلها ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ بَدْرِيًّا قَالَ : بَيْنَمَا هُمْ فِي سَفَرٍ إِذْ نَزَلَ الْقَوْمُ يَتَصَبَّحُونَ ، فَقَالَ شَدَّادٌ : أَدْنُوا هَذِهِ السُّفْرَةَ نَعْبَثُ ، ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَزُمُّهَا ، وَأَخْطِمُهَا قَبْلَ كَلِمَتِي هَذِهِ لَيْسَ كَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " وَلَكِنْ قَالَ: يَا شَدَّادُ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّثْبِيتَ فِي الْأُمُورِ ، وَعَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ". هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ "(١) .

---

(١) المستدرك على الصحيحين(١٩١٥).. و روى أحمد (١٧١٥٥) والترمذي (٣٤٠٧) والنسائي (١٣٠٤) عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا ،

هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم.. وأعظم النعم نعمة الإسلام وطريقة استبقاء النعمة عندنا في ديننا أن ننفق من هذه النعم. :{ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** }(١).

إظهار النعمة والحديث عنها .. من أوتى مالا فعليه أن يظهر هذا المال بالزكاة .. ومن أوتى الإسلام فعليه أن يزكى عن إسلامه بالدعوة إلى الله.. أطلق لسانك.. أنعم الله عليك بنعمة الإسلام .. لماذا تبخل بهذه النعمة على الحيارى والمعذبين ؟.

وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) والحديث صححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم ٣٢٢٨ وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند .

وروى أحمد (١٧١٥٥) والترمذي (٣٤٠٧) والنسائي (١٣٠٤) عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا ، وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) والحديث صححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم ٣٢٢٨ وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(١) سورة الضحى_ الآية ١١ .

آلام الأرض كلها شفاؤها في لا إله الا الله محمد رسول الله.

ما أنعمَ اللَّهُ تعالى علَى عبدٍ من نِعمةٍ فقالَ: الحمدُ للَّهِ إلَّا أدَّى شُكْرَها فإن قالَها الثَّانيةَ، جدَّدَ اللَّهُ لهُ ثوابًا فإن قالَها الثَّالثةَ غفرَ اللَّهُ لهُ ذنوبَهُ(١). فالنعم كثيرة والشكر قليل. لذلك

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ الْقَلِيلِ، قَالَ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا هَذَا الَّذِي تَدْعُو بِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْت اللَّهَ يَقُولُ : { **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** }(٢) فَأَنَا أَدْعُو أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أُولَئِكَ الْقَلِيلِ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ :كُلُّ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ (٣) .

يا من تدورون دور الرحى بحثا عن الأرزاق. .. والعمل في الصباح وفى المساء.. وعلماء الإدارة يقولون لماذا يكون العمل من الساعة

(١) ضعيف الجامع للألباني (٥٠٢٤) .
(٢) سورة سبأ _ الآية ١٣.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة» كتاب الدعاء» مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ الدُّعَاءِ(٥).

الثامنة حتى الساعة الثانية؟ لماذا لا نكون مثل الغرب؟ دوروا خلفهم.. اجروا خلفهم حيث الضياع والتيه، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَفَارِسَ، وَالرُّومِ ، فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ "(١) .

وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" لَتَتَّبِعُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ فِيهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ ، وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: " فَمَنْ إِذًا" (٢).

يامن تستبطئون أرزاقكم.. اطلبوا الحلال .. وأكثروا من استغفار الله تبارك وتعالى.

---

(١) صحيح البخاري _ (٦٨٠١) ، مسند أحمد بن حنبل(٨١٠٧).

(٢) سنن ابن ماجة _ (٣٩٩٢) ، مسند أحمد بن حنبل(٩٦٠٧، ١٠٦٠٣)، المستدرك على الصحيحين(١٠٤) ٣٧/١ ،مصنف ابن أبي شيبة(٣٦٦٧٤).

أسأل الله أن تحفظها قلوبكم.. وأن تمتثلها جوارحكم.. وأن تنطلق بها ألسنتكم.

الحمد عند النعمة.. والاستغفار عند طلب الرزق.. ولا حول ولا قوة إلا بالله تدفع بها الهموم .. (الهموم) وقد أطبقت على أمة النبي صلى الله عليه وسلم.

مَعْنَى لَا حَوْلَ لَا تَحْوِيلَ لِلْعَبْدِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَى لَا حَوْلَ لَا حِيلَةَ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ : هِيَ كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِيضٍ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ شَرٍّ وَلَا قُوَّةٌ فِي جَلْبِ خَيْرٍ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ – تَعَالَى –.

والناس يجهلون أن من أسباب الرزق ذكر الله. من أسباب الرزق المداومة على الاستغفار.

جهلنا أسباب الرزق الحقيقية.. وتعلقنا بأسباب الرزق الظاهرية.

أسباب الرزق الظاهرية هي المعايش التي جعلها الله في أرضه.

وأسباب الأرزاق الحقيقية هي الأعمال الصالحة ، مثل:

١) **الصلاة من أسباب الرزق:**{ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}(١). وقال جل وعلا:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(٢).

٢) **الاستغفار من أسباب الرزق:**{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا }(٣) ، وقال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ }(٤).

٣) **قيام الليل من أسباب الرزق:** وكم من بائت في الأرض ليلا ونهارا حظه في الرزق قليل؟.

وكم من انسان سعيه في هذه الدنيا على مهل والأرزاق تأتيه بغير حساب؟ :{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ

---

(١) سورة البقرة_ الآية ٤٥.

(٢) سورة البقرة_ الآية ١٥٣.

(٣) سورة نوح_ الآيات من ١٠ : ١١ .

(٤) سورة هود_ الآيات من ٥٢ .

الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(١) ولكننا أسأنا الأدب .

وما عرفنا كيف نقضى من الله جل وعلا حوائجنا.. ما عند الله لا يستجلب بمعصيته.. هذا لا يكون.

ما أقل حياء عبدى يطمع في جنتي بغير عمل؟ كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي(٢) ؟.

وهذه الأمة يعجل الله لها العقوبة اذا غفلت عن ذكر الله. واذا لم تتحمل أمانة هذا الدين.

الأمم الكافرة لابأس أن يوسع الله عليهم أرزاقهم، فهم ليس لهم نصيب في الآخرة عند الله جل وعلا :{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (٣).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٢٦.

(٢) سورة آل عمران_ الآيتان ١٩٦ ، ١٩٧.

(٣) أثر إسرائيلي ولا يوجد في كتب الحديث، بل يوجد في بعض كتب المفسريسن مثل الثعلبي والزمخشري وأبو حيان وغيرهم ولعله مما أخذ عن بني إسرائيل.

وأما أهل الايمان فإنهم يعاقبون .. ويكون الهمَّ .. لأننا لا نريد أن نصالح الله جل وعلا . فلا بد من المصالحة.. فلا تتخلفوا عن دينكم .. وافتحوا عقولكم .. وفرغوا أوقاتكم لهذا الدين لتتعلموا .. وطنوا أنفسك م على الطاعة.

واذا دخلت المسجد ووجدت أناسا جالسين متحلقين حول كتاب الله. أوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. فإياك أن يستولى الشيطان عليك، ويخرجك من هذه الحلقات.. يقول لك.. يقولوا كلام معاد.. طيب ما (لا إله الا الله) من بداية ما أن خلق ربنا عز وجل الدنيا الى أن تنتهى لا يريد من العباد إلا هذه الكلمة.. نقول لأن هذه الكلمة معادة فلا نقولها ؟

اصبر العلم يحتاج إلى صبر.. والدين يحتاج إلى صبر.. صبر للعبادة.. وصبر للدعوة.. وصبر للتعليم والتعلم.. وإلا بغير صبر لا ندرك شيء:{ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }(١) .

فصبروا أنفسكم في طاعة الله. وعليك أن تطلق لسانك بدعوة الناس الى الله. وتشغل نفسك بطاعة ربك.

وإذا ما سمعت المناقشات والسوء فاصبر على ما يقولون.

لا تدخل في مناقشات ولا في جدل مع الناس.. فبعض الناس لا يحب سماع الهدى.. وبعض الناس لا يحب الأقبال على الله جل وعلا. وبعض الناس يعترض على سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وبعضهم يعترض على أحكام الله. وبعضهم لا تعجبه أوامر الله جل وعلا.

وأنا أعجب من رجل مسلم شاب شعره ثم لا يريد أن يمتثل سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أصبحت يا شيخ على المعاش وانقطعت الصلات بينك وبين الحياة التي ألفتها.. فلماذا لا تريد أن تسرع بالعودة الى الله جل وعلا؟ ممن تخافون؟ ثم تجد شيخا آخر يجلس على المقهى يكثر اللعب.

---

(١) سورة الكهف_ الآية ٢٨ .

فإلى متى الغفلة ؟ متى سنأخذ الزاد الى الله جل وعلا ؟ لله أوامر. الله أمركم أن تتحركوا بهذا الدين.. وأن تعمروا المساجد.. متى ستطيعون هذا الأمر؟.

الله أمركم بأخذ سنة النبي صلى الله عليه وسلم واستشعار العز والكرامة وأنتم تقبلون على سنة رسول الله بسنته وطاعته.. فمتى ستأخذون سنن النبي وتقبلونها؟

الله أنزل القرآن العظيم على قلب نبيه ليقرأ .. وليعاش.. وليفهم.. وليدرس.. وليتعلم.. ولنعلمه للناس.. وللأبناء والبنات.. متى سيفعل ذلك كله؟

هذا الدين غالى وعزيز ومن أجله الله يبقى نظام الكون.

ومن غير الدين فالتراب أولى بنا .. لأن الدين هو الأصل للبقاء والحياة في هذه الدنيا.

هناك حجاب بين الله عز وجل وبين الأمة.. نحن نأكل ونشرب ونمشى ونشم الهواء وننام ونستيقظ.. هذه نعم.

كيف تحب ربك؟ أن تذكر نفسك بنعم الله.. نعم.. الكلام .. الفهم .. الحركة .

أن تأكل اللقمة تهضم.. أن تجد تنفس مستريح، الحمد لله لا يوجد تعب.

ذكر نفسك بعظمة الله، بنعم الله، بقدرة الله، بآيات الله.

وكن في هذا الكون مثل إنسان أتى من كوكب جديد ويتأمل في كل شيء.. تأمل فيه فهم .. وفيه استيعاب.. وفيه بصيرة.. تجد عظمة الله سبحانه وتعالى.

ذكروا أنفسكم بعظمة الله.. وهذه الحياة التي نحن فيها لا تتم بغير توفير ملايين الموافقات بقدرة الله عز وجل.

لو أن الرياح زادت قليلا لتعكر صفو هذه الدنيا.

لو أن المطر زاد قليلا يتعكر صفو هذه الدنيا.

لو أن نسبة الحرارة زادت قليلا لا نستطيب عيشا بهذه الدنيا.

لو أن نسبة البرودة زادت قليلا لا نستطيع العيش في هذه الدنيا .

لو أن مدار الأرض بعد قليلا عن الشمس لتجمدت كل الموجودات التي على ظهر هذا الكون.

لو أن هذه الأرض اقتربت في مدارها من الشمس أقرب قليلا مما هي عليه الآن لاحترقت هذه الحياة بكل ماف يها.

لو زادت نسبة الأكسجين في الهواء لاحترق الناس ولاشتعل الهواء حرارة حتى اضطرمت هذه الدنيا بكل ما فيها.

لو زادت نسبة ثاني أكسيد الكربون لاختنق الناس.. وتختنق الحياة .

فملايين الموافقات رتبها صاحب الأمر حتى تعيش لتوحده.

وتتابع الليل والنهار وتغير الأوقات والأحوال إنما هو تذكير بقدرة الله تبارك وتعالى.

فالأحوال تتغير وتتبدل. . الحر والبرد.. الليل والنهار.. الغنى والفقر.

هذه الأحوال إنما هي بيد الله وحده.. فاذا أردنا أن نصلح أحوالنا فعلينا أن نصلح أعمالنا.. كلام سهل ومحفوظ.. ولكن تطبيقه صعب. تطبيق قضايا الإيمان في الواقع أمر صعب يحتاج إلى ممارسة طويلة وجهد طويل.

وإلا فالله تبارك وتعالى قادر على أن يمكن للإسلام من أول يوم في بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن قضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يظل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه والرجال معه يجاهدون لنصرة هذا الدين ولخدمة هذا الدين

ثلاثة عشر سنة في مكة وعشر سنين في المدينة حتى يأذن الله بفتح مكة بعد واحد وعشرين سنة من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لأن هذا الدين يحتاج الى جهد، وتصور إدراك ثمرات هذا الدين من غير جهد نوع من العبث ونوع من الخرق في التصور وفى الفهم والمخالفة لطبيعة هذا الدين.

هذا الدين فيه يسر. وأسرار هذا الدين لا يجليها ربنا إلا لمن قدم نفسه لهذا الدين.. ومن وقته لهذا الدين.. ومن ماله لهذا الدين.

والله تبارك وتعالى جعل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه مذكرة توضيحية لما يريده الله من أتباع هذا الدين.

فمن صدق فله من الله حسن العاقبة.. ومن تولى فلا يضرن إلا نفسه.

القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وفى خلال ربع قرن من الزمان صنع الله بهذا الدين أعظم دولة عرفتها البشرية في خلال ربع قرن.. دولة عظيمة امتدت في المشارق والمغارب.

لأن هذا الدين دين الله تبارك وتعالى فأمواجه تتتابع في ارتفاع وفى سعة.

حتى بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى زاد انتشار هذا الدين وزاد عدد المؤمنين والموحدين به.

وبعد انتقال أبى بكر الصديق رضى الله عنه تتسع رقعة الاسلام أكثر وأكثر.. ويزداد أكثر وأكثر عدد المسلمين .

هذا دليل وفيه معنى أن هذا الدين دين الله تبارك وتعالى .. وأن الله تعالى بهذا الدين سينصر كل من تمسك به ولو في غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ماذا ننتظر مع الله جل وعلا؟ وما هو المبرر للغفلة ؟ وما هو المبرر للإعراض؟ هل ستخلد في هذه الدنيا؟ هل تضمن شيئا من هذا الوجود؟ هل تعرف ما يدخره الله لك في اللحظة القادمة؟ أنت تجهل كل شيء.. لا تدرى شيء.. لاعن سعادتك.. ولاعن رزقك.. ولاعن أجلك.

أنت محكوم في قبضة المهيمن جل وعلا.. في كبرياءه وعظمته.

ولا أمان لك الا اذا آويت الى الله جل وعلا.. واقبالك على الله لا يضيع منك شيئا .. رزقك لن ينقصه الله تبارك وتعالى لأقبالك عليه.. بل سيباركه.. وأجلك لا يزيد ولا ينقص **اللَّهُ عَنْهُ – قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " : – أَيُّهَا النَّاسُ ! لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى

الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ – وَفِي رِوَايَةٍ : وَإِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ – نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . "رَوَاهُ فِي (شَرْح السُّنَّةِ (والْبَيْهَقِيُّفِي (شُعَبِ الْإِيمَانِ) إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ (وَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ) (١) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : ذَكَرَهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي الْوَضَّاحِ ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ : رَأَيْتُهُ بِالرَّيِّ فَحَدَّثَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ قَالَ : خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِرُكُوبِهِمُ الْمَعَاصِي، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ، فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ أَخَذَتْهُمُ الْعُقُوبَاتُ. فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ

(١)مشكاة المصابيح» كتاب الآداب» باب التوكل والصبر(٥٣٠٠).

بِهِمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْطَعُ رِزْقًا وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلًا(١).

والآفة التي ابتليت بها أمة الحبيب هي حب الدنيا وكراهية الموت.

لو نظرت في حياة البنى صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه من بعده لوجدت في ملامح هذه الحياة أشواق الآخرة والرغبة في الشهادة.

أما نحن فليس في أحوالنا ولا في نظام حياتنا إلا رغبة متشبثة بهذه الدنيا وإعراض عن الآخرة وإعراض عما يقرب من مرضاة الله جل وعلا.

وليس هناك من سبيل للنجاة إلا أن نقبل على الله تبارك وتعالى.

لأن الحق واضح والكل يعلمه، أما اذا غيب الحق والبعد عن شريعة الله ، وعن أوامر الله، فإن الضلال يصبح شيئا مباحا في الأمة .

ولا يمكن حصر أبوابه ولا إغلاق مشاربه(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

لكن اكتشاف حقائق التوحيد .. معرفة الله جل وعلا .. الدلالة على الله تبارك وتعالى كل هذه الأمور لا تدرك إلا في طريق واحد هو

(١) تفسير القرآن العظيم _ تفسير سورة المائدة _ تفسير قوله تعالى " قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا.

الطريق الذى اختاره الله لأنبيائه ورسله.. وهو طريق الدعوة الى الله تعالى .. اذا كنت داعيا كنت في كل يوم مدركا عن الله تعالى .. بصيرا عن الله تبارك وتعالى.. يعلمك ويزكيك ويطهرك ويرفع من شأنك حتى تحمل لواءه .. وحتى تدل الناس عليه.

*****

وختاما

نحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقنا لكتابة الجزء الأول من كتاب إشراقات ربانية ونسأله أن يعيننا على القيام بباقي الأجزاء.

إخواني وأحبابي حياة الدين وجهد الدين التي تكلم عنها الشيخ إبراهيم عزت (رحمه الله) هي أحسن حياة، وأجمل حياة ، وأفضل حياة، وأسعد حياة، لأنها حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول الشيخ: محمد التويجري: دعوة الأنبياء والرسل تقوم على أربعة أصول:

١) التضحية بكل شيء من أجل دين الله عز وجل، والدعوة إليه:{ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**}(١) .

---

(١) سورة الحج_ الآية ٧٨ .

وذلك بترك الأدنى من أجل الأعلى.. والخروج من مزاج النفس إلى مزاج الدين.. وتقديم الوحي على العقل.. وتقديم الهدى على الهوى.

ومن ضحى بشيء من أجل الله وهبه الله له فورا، كما حصل مع إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم ضحى بالحياة فالله وهبه الحياة فورا { **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** }(١).

وضحى بالبلد فالله أعطاه أحسن بلد مكة التي بنى فيها بيت الله الحرام.

وضحى بالولد وهو إسماعيل فأبقى الله له الولد وأخرج من نسله أفضل ولد وهو محمد سيد الأولين والآخرين.

وضحى بأم الولد فجعلها الله أما للعرب وجعل خطواتها نسكا يتعبد به في الحج والعمرة إلى الأبد.

٢) **الاستقامة على الدعوة:** فالدعوة أمر الله كما أن الصلاة أمر الله، والذي يريد الاستقامة لا بد له من التوبة { **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** }(٢).

---

(١) سورة الأنبياء_ الآية ٦٩.

(٢) سورة الحجرات_ الآية ١١.

ولا يستقيم على جهد الدعوة إلا من تيقن أن فلاح البشرية في هذا العمل العظيم.. ويلزم بيئة الإيمان، ويحسن الظن بربه ويحسن الظن بالناس.. ويصبر على الأذى والمشقة ويتحلى بمكارم الأخلاق { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }(١).

والأمراض الخطيرة التي تطرد الإنسان من هذا العمل العظيم ، هي الغيبة والنميمة واتباع الهوى والانتقاد وحب الدنيا.

٣) المسابقة لكل ميادين الطاعة لله ورسوله، حتى الممات في الدعوة والتعليم والعبادة والإحسان إلى الخلق والإنفاق في سبيل الله وكل فضيلة { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }(٢).

والصحابة رضي الله عنهم قدم كل واحد منهم ما يملك وما يستطيع إلى آخر يوم في حياته، ولهذا رضي الله عنهم ورضوا عنه، قال جل وعلا:{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ

(١) سورة القلم_ الآية ٤.
(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٣٣.

اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(١).

٤) الدعاء والاستغاثة بالله وحده، في كل حال، لأن الله قاضي الحاجات كلها، والقرآن كله بين دعوة الأنبياء ودعاء الأنبياء، ومقصود الدعاء: إحياء أمر الله في طلب الحوائج من الله وحده، ليست الاستجابة، لأن الله أمر بالدعاء ووعد بالاستجابة:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }(٢).

فهذه أصول دعوة الأنبياء عليهم السلام، في أحسن حال في الصلاة في الذكر في الجولة في الشورى في التعليم، في الدعوة ، وغير ذلك.

فمن أراد أجمل حياة، وأحسن حياة ، وأسعد حياة، وأفضل حياة ، فليستجب لله ورسوله، في القيام بهذا الدين: تعبدا ودعوة وتعليما وإحسانا إلى الخلق.

---

(١) سورة التوبة _ الآية ١٠٠.

(٢) سورة غافر _ الآية ٦٠.

والدعوة إلى الله فرض على كل أحد ولقوله تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(١)، ولقول الله تعالى :{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(٢) (٣).

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

(٣) يقول ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب الحسبة: تحقيق وصف الخيرية للأمة، كما قال الله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ .. } (١١٠) سورة آل عمران، وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. وما تمت هذه الخيرية إلا بعد تحقيق الصفات المذكورة في الآية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، فمن اتصف بهذه الصفات من هذه الأمة دخل في هذا المدح، فعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا وَرَأَى مِنَ النَّاسِ رِعَةً سَيِّئَةً، فَقَرَأَ هَذِهِ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ:" يَا أَيُّهَا

، ولقوله تعالى: { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(١).

وفي لا يوجد مكة بعد الإيمان فريضة تزاحم فريضة الدعوة إلى الله.

والنبي بدأ مع الأمة بالأعلى وهو تعلم جهد الدعوة ثم يعلمهم أحكام الدين من صلاة وغيرا في المدينة.

والنزول من الأعلى إلى ما دونه أسهل من الصعود من الأسفل إلى الأعلى.

لهذا من أراد السعادة حقا في الدنيا والآخرة فعليه بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في نيته وفكره وأقواله وأعماله{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٢) .

النَّاسُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا. رواه ابن جرير، وقال الإمام ابن كثير: "ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: { كَانُواْ لا يَتَنَاهَونَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ } (المائدة: ٧٩)".

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٢) سورة الأحزاب _ الآية ٢١.

من فهم مقصد حياته وهو الدعوة فورا يصعدُ إليه، ثم يسهل عليه القيام بأعمال الدين كلها قال جل وعلا :{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا }(١).

هذه هي مقاصد حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومقصد الأمة.

والذي لا يفهم مقصد حياته يصعب عليه أوامر الله ويستثقلها، ثم يصعب عليه الصعود إلى أعلى (أي إلى الدعوة).

وكانت تربية جميع الأنبياء بشيئين بالدعوة والهجرة من أجل نشر دين الله عز وجل بين الناس .

لأن الهداية تأتي بعد الهجرة، والله سبحانه وتعالى ربى هذه الأمة بالدعوة والهجرة، كما قال الله تعالى عن إبراهيم:{ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(٢).وكما فعل النبي مع أصحابه في الهجرة إلى المدينة المنورة.

نسأل الله أن يفهمنا جهد حبيبه على منهاج حبيبه ابتغاء مرضاته.

---

(١) سورة الأحزاب _ الآيتان٤٥، ٤٦.

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٢٦.

الفهرس

م	الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١	المقدمــة	٣
٢	البيان الأول	١٤
٣	البيان الثاني	٤٧
٤	البيان الثالث	٧٢
٥	البيان الرابع	١٠٢
٦	البيان الخامس	١١٣
٧	البيان السادس	١١٧
٨	البيان السابع	١٢٣
٩	البيان الثامن	١٣٥
١٠	البيان التاسع	١٤٠

١١	البيان العاشر	١٥٩
١٢	البيان الحادي عشر	١٨٧
١٣	البيان الثاني عشر	١٩٧
١٤	البيان الثالث عشر	٢٠٦
١٥	وختاما	٢٢٤
١٦	الفهرس	٢٣١

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تم بحمد الله تعالى